

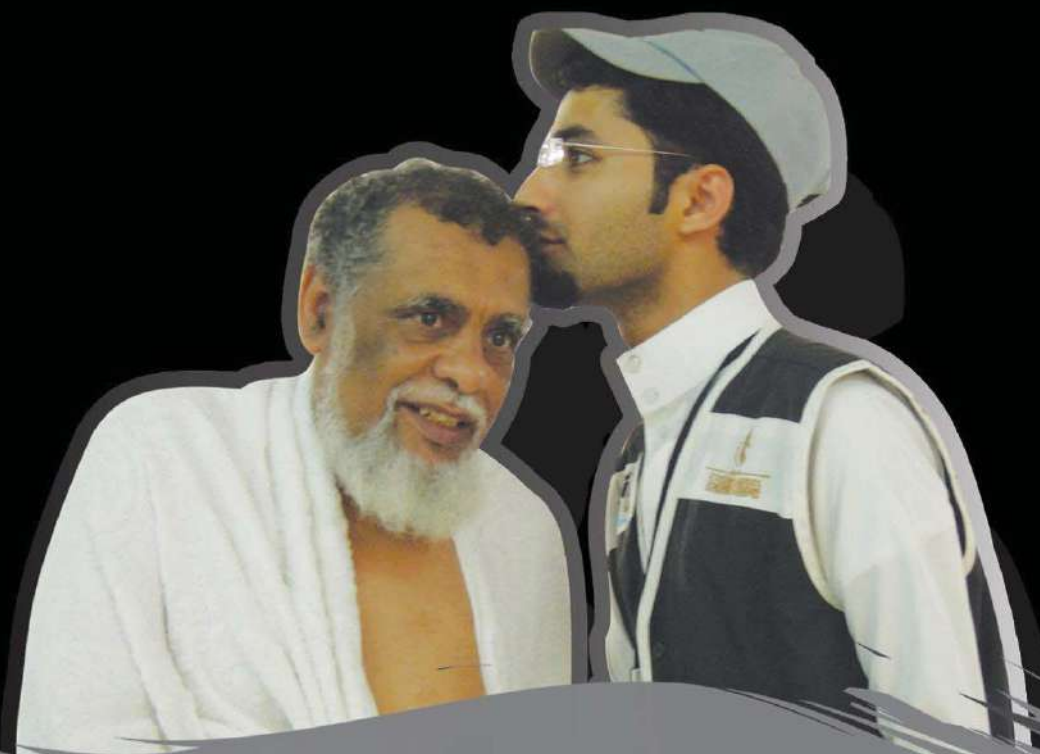
قصص قصيرة

قُبَلِيٌّ

على رأس حاج

قصص ومشاهد خدمية نسجتها سواعد شباب مكة المكرمة
بمشروع تعظيم البلد الحرام

صدره عبد الشكور



قبلة على رأس حاج

قصص ومشاهد خدمية تسجتها سواعد شباب مكة المكرمة

صلاح عبد الشكور



ح جمعية مراكز الأحياء بمنطقة مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
يوسف، صلاح نور عبد الشكور
قبلة على رأس حاج/صلاح نور عبد الشكور يوسف - مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ
٦٦ص؛ ...سم
ردمك: ٥-١-٩٠٣٢٩-٩٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١ . الخدمة الاجتماعية . ٢ . العمل التطوعي . ٣ . المجتمع المدني .
أ. العنوان
ديوي ٨, ٣٦١ ١٤٣٣/٤٨١٢

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٨١٢
ردمك: ٥-١-٩٠٣٢٩-٩٠٣-٦٠٣-٩٧٨

صف الكتاب: محمود آل فتح
التصميم: معاذ الشريفي، طارق عبد الحكيم

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠١٢م

حقوق الطبع محفوظة لـ



مكة المكرمة - الخالدية (٢) - ص.ب. ٥٧٥١١ -
هاتف: ٢٥٣٩٠١٠١ - فاكس: ٢٥٣٩٠٢٠٢ - ٩٦٦٠٠٠٠
www.makkah.org.sa

(لو يعلم المقيمون ما للحجاج عليهم من
الحق لأتوهم حين يقدمون حتى يقبلوا
رواحلهم، لأنهم وفد الله من جميع الناس).

ابن عباس رضي الله عنهما

المقدمة

الحمدُ لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بمجاورة
بيته الحرام، وجعل من آياته زمزمَ والمقام، وشرع من
المناسك ما يرفع به الدرجات ويحطّ به الخطايا
والآثام، وجعل خدمة الحجاج والزوّار من أبواب البرِّ
العظام، أحمده تعالى وأشكره، كم أجزل لنا من
عطاياه الجسام، وأسبغ علينا من لباسِ الإنعام، فلله
الحمدُ من قبل ومن بعد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً
أرجو بها النجاة يوم تزل الأقدام، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله، صلى الله وسلّم عليه، وعلى آله
وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم البعث والقيام..
أما بعد:

فقد كانت مكة ولا تزال قصّة الحبّ الأولى، فعلى
تراها ابتدأت حكايات القداسة والجلال، وفيها
تضوّعت أعطر قصة على وجه الكون.. قصة البذل
والتضحية مع إبراهيم الخليل وزوجه هاجر وابنه
إسماعيل عليهم السلام، وفي واديها القفر نبعت قصة
ماء زمزم، طعام طعم وشفاء سقم، وفي ربّاهما بزغت
أنبل سيرة وأكرم رسالة ببعثة سيد الخلق نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم، ومن كعبتها المشرفة فاح عبير
الهداية وأريج التوحيد؛ إنّها مكّة.. قصة الجمال
والجلال على مدى الدهور والأيام!..!

وقد اتفقت كلمة المعنيين بالتربية والسلوك على أن القصص والأخبار والنماذج من السيرة والحياة أكبر مؤثر في النفس، وأقوى عامل من عوامل التربية، وليس أدلّ على ذلك ما قصّه الله علينا في كتابه العظيم من قصص وأخبار الأقسام السابقين، وقد جاءت الإشادة بالقصص وأثرها في كتاب الله صريحةً ومكررةً، فقال تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] وقال سبحانه مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] وقال بعض السلف: (الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب أوليائه)، وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليّ من كثيرٍ من الفقه، لأنها آدابُ القوم)..

ومن هنا جاءت هذه الصفحات المتواضعة التي تمثل جانباً من جوانب العمل في خدمة ضيوف الرحمن، وترصد واقعاً ملموساً في الاهتمام بالحجاج والمعتمرين بالمسجد الحرام وما جاوره، وهو برنامج سنوي يقام خلال موسمي رمضان والحج، تبناه مشروع تعظيم البلد الحرام متمثلاً في برنامج (شباب مكة في خدمتك) بالتنسيق مع الجهات الرسمية، ويقدم البرنامج مجموعة من الخدمات لضيوف الرحمن كخدمة الطائفين، وإرشاد التائمين، والتوعية بحق الطريق، ورعاية الحجاج المنومين بالمستشفيات، وخدمة الإسعافات الأولية، وخدمة تنظيم السيارات، وغيرها من الخدمات التي تسهل على ضيوف الرحمن أداء مناسكهم وتنقلاتهم، وتيسر لهم أمورهم وما يحتاجون إليه..

وقد نال بفضل الله (برنامج شباب مكة في خدمتك) شرف الخدمة والمبادرة في هذا الباب، إذ قام الشباب المشاركون فيه بأعمال تطوعية نالت


إعجاب الجميع، وعكست الصورة التي يجب أن يكون عليها شباب مكة وأهلها، ورسوموا أنموذجاً قيماً للشباب في التعامل مع ضيوف الرحمن وخدمتهم ورعايتهم، وتأتي هذه المجموعة القصصية كمحاولة لتوثيق بعض المشاهد والأحداث التي وقعت لشباب مكة والمشرفين على البرنامج حال تأديتهم لمهامهم النبيلة بجوار الكعبة المشرفة والمنطقة المركزية، وقد أخذت هذه القصص من أفواه الشباب الذين شهدوها أو رووها عن زملائهم، وقمت بصياغتها بطريقة قصصية كما وقعت، من غير زيادة أو نقصان..

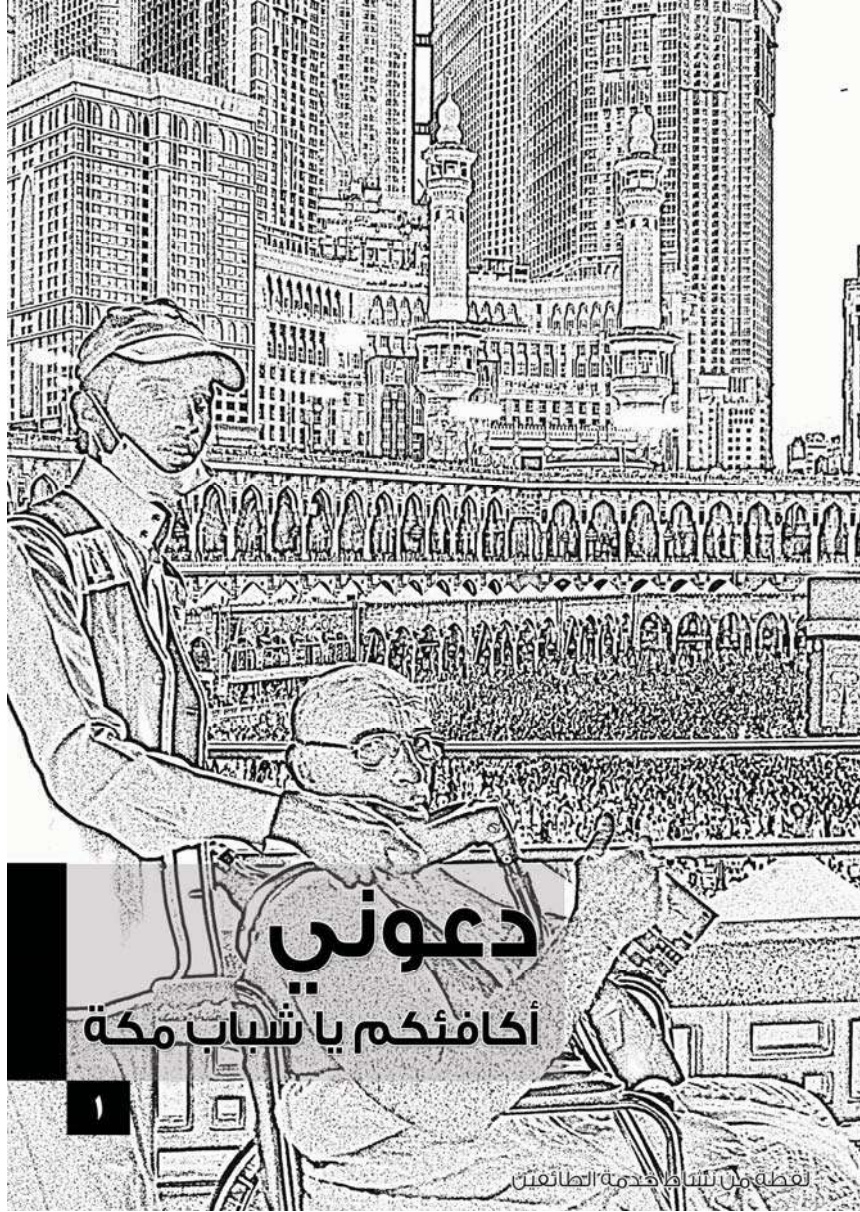
وهي وإن لم تصل لحدّ القالب القصصي الإبداعي فنياً إلا أنها ترصد واقعاً يحكي مواقف متنوعة مع خدمة ضيوف الرحمن.. أسأل الله تعالى أن يتقبل مني ومنهم هذا الجهد ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وحافزاً لي ولأهل مكة وشبابها لتكون من المعظمين لبيته، الخادمين لضيوفه، الحائزين على شرف الرعاية

والعناية بوفده، وأجزل الشكر وأوفاه الله تبارك وتعالى أن وفقني وسدّني، ولا أنسى إداريي مشروع تعظيم البلد الحرام وعلى رأسهم الشيخ الدكتور: طلال أبو النور المشرف العام على مشروع تعظيم البلد الحرام، وأيضًا إخواني في برنامج شباب مكة في خدمتك ومديره الأستاذ: خالد بن عبدالله الوافي، وكل من أسهم في إظهار هذه المجموعة بفكرة أو قصة أو ملاحظة أو تصويب، والله الموفق وعليه التكلان..

صلاح عبدالشكور

المركز الإعلامي
ببرنامج شباب مكة في خدمتك
iamsalah@hotmail.com

 @salah_ht



دعوني

أخافئكم يا شباب مكة

1

لقطة من نشاط خدمة الطائفتين



الوقت قبيل صلاة الظهر.. أشعة الشمس تلمح
وجوه الطائفين في بيت الله الحرام..

الأجواء شديدة الحرارة.. وزوار البيت قد كوّنوا
طوقاً بشرياً حول الكعبة المشرفة.. والعرق يتصبّب من
الجميع..

لكنّ ذلك لم يثنِ أحداً من العابدين.. فالجميع هنا
مستبشر فرح مسرور.. الكل يأنسُ بالطواف ويتمتع
بالذكر ويرتوي بالعبادة بجوار البيت العتيق..

هنا الأمانى هنا الأمجاد قد رفعت
هنا المعالي هنا القربى هنا الرحم
هنا القلوب استفاقت من معاقلها
هنا النفوس أتت للحق تزدحم
هنا رواء هنا فجر هنا أمل
هنا كتاب هنا لوح هنا قلم

خضوع وانقياد.. تبتل ودعاء.. بأن يتقبل الله صالح
أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم.. إنها مشاعر البهجة
والراحة التي يحسُّ بها الطائف والزائر لبيت الله
الحرام..

في هذه الأجواء الإيمانية التي يشترك فيها الطائفون
رجالاً ونساءً، شباباً وشيباً.. تقف امرأة طاعنة في
السن، بجانب صحن الطواف قد أعيها التعب وهدّها
الزحام الشديد.. تنظر إلى الطائفين في لهفٍ وشجن،
وهي تتمنى الاعتماد على نفسها.. لتسير مع السائرين،

وتخطو مع الخاشعين.. إلا أنها عجزت وظلت واقفةً
تنتظر من يحقق رجاءها وينجز أملها..

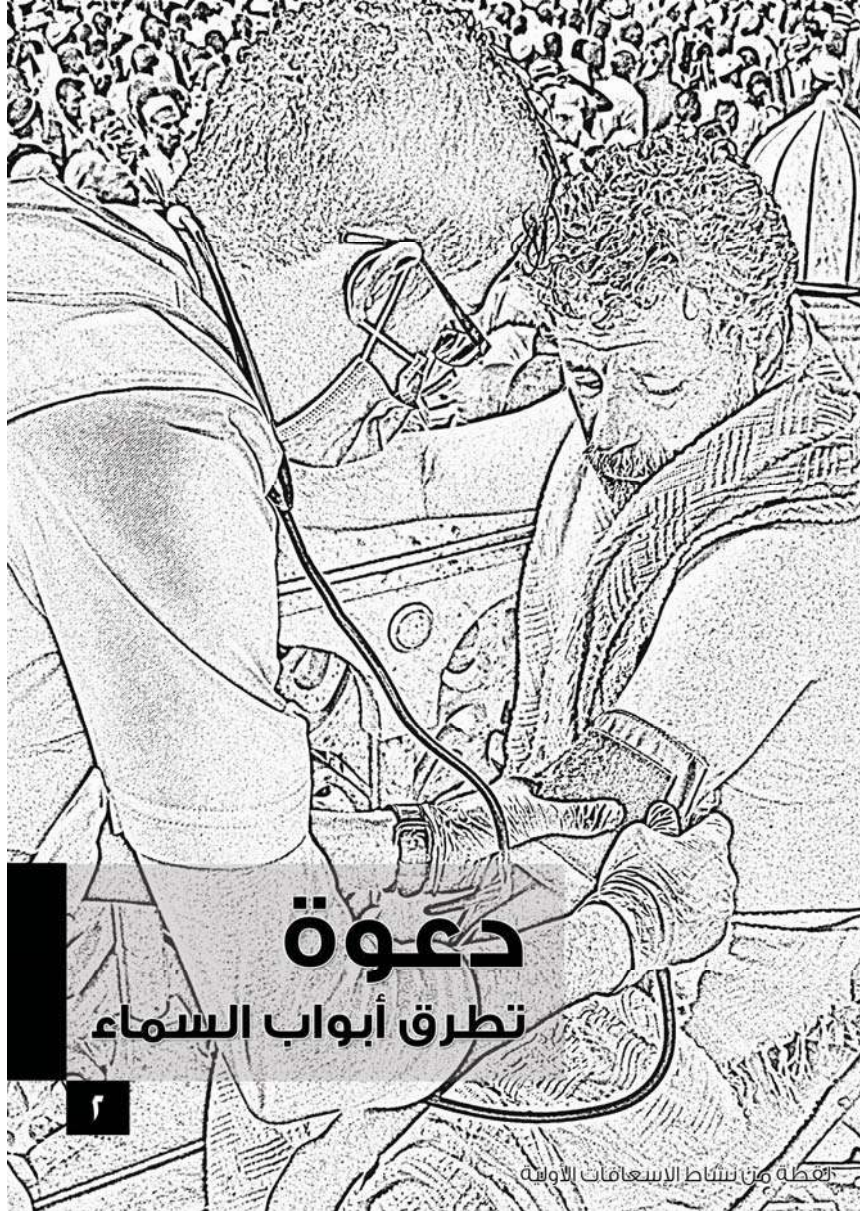
وهي كذلك إذ لمحها أحد (شباب مكة).. فعرض
عليها المساعدة.. فاستبشرت وبدا السرور على
وجهها.. جلست على عربة الطواف.. وانطلق بها
الشاب يشقّ الزحام.. حتى انتهى من تطويقها واتجه بها
إلى المسعى.. وسعى بها بين الصفا والمروة.. حتى
أتمت نسكها فقامت وهي لا تعرف بأي الكلمات
تشكر هذا الشاب.. ولا تدري أيّ مكافأة تقدمها له
نظير هذه الخدمة العظيمة في تسهيل أداء طوافها
وسعيها!

وضعت المرأة يدها في حقيبتها، وأخرجت نقوداً
تريد أن تكافئ بها الشاب.. رفض الشاب قبولها
وأخبرها أنها خدمة مجانية يقدمها (برنامج شباب مكة
في خدمتك) التابع لمشروع تعظيم البلد الحرام..
فرحت المرأة بهذا الخبر وزاد إصرارها على إعطاء

المبلغ للشاب.. فما كان منه إلا أن أحالها إلى مشرف البرنامج الذي بيّن لها أهداف هذا البرنامج.. وأن شباب مكة يتشرفون بهذه الخدمة المجانية لضيوف الرحمن، دون أن يتقاضوا منهم أي أجر مادي!

فلما عجزت المرأة عن مكافأة الشاب، قالت: اسمحوا لي -يا أرباب الأمجاد- أن أذهب إلى خارج الحرم وأشتري شيئاً من المرطبات والمشروبات لكي أكافئكم على هذا المجهود الكبير، فإن كنتم ترفضون مكافأتي، فلست أملك شيئاً يساوي عملكم غير دعوة صادقة أبثها إلى السماء..

ومضت العجوز ترددّ بهمسٍ ابتهالات شكر، ودعاءات مغفرة!



نقطة من نشاط الاستعافات الأولية



دعوة

تطرق أبواب السماء

رنين منبّه الساعة يعلو تدريجياً في غرفة باردة
مظلمة، تمتد يد (ياسر) برفق لتغلق منبه الساعة،
ويفتح عينيه بصعوبة فيجد عقاربها تشير إلى الثالثة
ظهراً في يوم صائفٍ من أيام شهر رمضان، همّ (ياسر)
بأخذ غفوة ريثما يستيقظ مرة أخرى، لكنّه تذكّر أن
موعد ذهابه إلى نشاطه التطوعي قد اقترب، وانتابه
شعور لطيف بالفرحة والغبطة فقد تذكّر تلك اللذة التي
يجدها في عمله، واستشعر الأناج الذي يخامر قلبه
وهو يباشر خدمة الإسعافات الأولية لضيوف الرحمن

بالمسجد الحرام، وتذكر تلك الدعوات التي تنهال عليه من أفواه المعتمرين والزوّار..

هبّ (ياسر) من نومه بكل حيوية ونشاط ولبس قميصه واتجه صوب سيارته يريد بيت الله الحرام ليواصل أداء خدماته لضيوف الرحمن.. وصل إلى مقر عمله بالمسجد الحرام وأخذ يسعف المصابين ويداوي الجرحى، مستمتعاً بهذا العمل الذي يسكن فؤاده ويُشعره بذاته وقيّمته..

وبينما هو في عمله إذ تصله رسالة نصية إلى هاتفه المحمول.. فتح الرسالة وقراها وابتسم فرحاً واختلجت في فؤاده مشاعر الفرح والحزن معاً، وتداعت على إثرها دموع الفرح ودموع الحزن في آنٍ واحد، غير أنه قرّر مباشرة أن يقدم استقالته من عمله الحالي ويترك هذه اللذة وهذا الأُنس ليرحل عنهما ربما إلى غير رجعة!

في اليوم التالي يطرق ياسر باب مكتب مدير
برنامج شباب مكة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أهلاً ومرحباً
بك..

شكراً لك ، لدي موضوع مهم ومحرج ولكن لا بدّ
أن أخبرك به!

تفضل أخي العزيز كلّي أذن لما تقول! فأنت
معروف بنشاطك وحماسك وأسعد بخدمتك في أي
أمر تحتاجه..

ابتسم ياسر وقال: أستاذي العزيز أشكركم على
ثقتكم بي ، ولقد وجدت في هذا العمل كل ما أصبو
إليه من خدمة ضيوف الرحمن ، وقضاء حاجاتهم ،
وكنت بحمد الله أعيش سعادة لم أشعر بمثلها في

حياتي ، وفي كل مرة يرفع فيها أحد المعتمرين يديه داعياً لي بعد أن أقدم له خدماتنا التطوعية ؛ كنت أشعر في قرارة نفسي أن الله سيستجيب دعاءه ويحقق آمالي .. وكنت قد تقدمت لوظيفة دائمة في إحدى الشركات العملاقة وطال انتظاري وأنا آمل أن أحصل على هذه الوظيفة ، ولكن الله سخر لي أحد المعتمرين ممن كان يحتاج إلى خدمة ومواساة في الحرم ، وبعد أن أتممت خدمته رفع يديه وهو محرم وقال بصوت خاشع: أسأل الله أن يجزيك خير الجزاء على ما قدمت ، وأسأل الله أن يحقق أمانيك ويبلغك مقاصدك .. أحسست حينها أنها خرجت من قلبه ففرحت كثيراً بهذه الدعوة وشكرت المعتمر وكنت متيقناً أن الله سيستجيب لهذا المعتمر ..

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصلتني رسالة على هاتفي المحمول تفيدني بأنني قبلت في الوظيفة التي تقدمت لها ، وطلب مني مراجعة جهة الوظيفة كي أكمل إجراءات تعييني ، فالحمد لله على

إحسانه ، وقد أتيت الآن أحمل ورقة استقالتي رغم ما يعتريني من حسراتٍ على فوات هذا الخير العظيم ، ولكنني لن أتوقف بإذن الله عن خدمة وفد الرحمن في أيّ مكانٍ ما حييت ..

ابتسم مدير البرنامج ابتسامة الرضا وهو يسمع حكاية هذا الشاب وأجابه: بارك الله فيك وفيما قدمت .. أنت مثلٌ حيٌّ للشاب المكي المخلص ، وكلي دعاء ورجاء أن يبارك الله لك فيما رزقك ويوفّقك في مستقبلك الوظيفي وحياتك الجديدة .. حقّق الله لك ما تتمنى في الدنيا وسيحقّق لك بإذن الله ما ترجوه ونرجوه من الفوز والفلاح والقبول في الآخرة ..



متقاعد

مع شباب مكة

٣

لقطة من نشاط خدمة الطائفين



يوم جديد من أيام الموسم.. ووفودٌ جديدة أخذت
تؤمّ البيت الحرام.. الكل يتغني الرضوان ويسعى لنيل
الغفران بجوار الكعبة المشرفة.. شباب مكة يجوبون
ساحات المسجد الحرام وصحن الطواف، وبقية
المواقع لخدمة الحجاج والمعتمرين..

فتلك مجموعةٌ قد حملت على عاتقها تطويق كبار
السنّ والعاجزين.. وأخرى ترشد التّائّهين وتوصلهم
إلى ذويهم ومقارّ سكنهم.. وثالثة تقوم بمساعدة
المصابين مع رجال هيئة الهلال الأحمر السعودي..
وآخرون قد وقفوا بين السيارات يساعدون رجال

المرور.. وهكذا.. فالكل هنا يعمل بدأب وإخلاص..
ويقومون بدور خدمي مجاني يستفيد منه الزوار
والحجاج..

والآن هذي جموع الخير قد وفدت كأيكّة الرّوض منها ينبع العبق
شباب مكة قد هبت جحافلهم وصاح صائحهم للمجد فانطلقوا
يُجدّون لبيت الله حلتته ويعملون.. فلا جبن ولا رهق
هذا يُجدد للزوار وجهتهم وذاك يُسعف من الداء قد علقوا
وثالث يُمنح الظمان بُغيته وماء زمزم يروي كل من عشقوا
الكل قد عاهد الرحمن مُرتجياً منه الجزاء.. وبالرحمن قد وثقوا
حمامة البيت قد غنت لما شهدت حتى تورّد من الحانها الأفق
فبارك الله من جادوا ومن بذلوا وبارك الله من للخير قد خلّقوا

أحد الحجاج من دولة تركيا ظل يراقب أعمال
شباب مكة عن كثب.. يتأمل أحوالهم ويحدث نفسه
يوميًا وهو يشاهد ما يقوم به هؤلاء الشباب! يردّد في
نفسه: كم هم محظوظون هؤلاء الفتية يوم منحوا من

أوقاتهم وجهدهم ليخدموا وفد الرحمن في أقدس
مكان وبجوار قبلة المسلمين !!

أخذ الحاج يفكرّ بجديّة: كيف يستطيع أن يقوم
بمثل هذه الأعمال التطوعية مع شباب مكة..
والإعجاب قد ملأ قلبه بما يصنعونه وهو يردد بينه
وبين نفسه: هنيئاً لهؤلاء الشباب كم سينالون من الأجر
والثوبة عند الله.. يا ليتني أتمكن من مشاركتهم
والعمل معهم لأنال ما ينالون من فضلٍ ومكرمةٍ عند
الله.. فكّر ملياً كيف يستطيع أن يعرض خدماته
للمساهمة مع شباب مكة في خدمة الطائفين ببيت الله
الحرام.. فجاء إلى أحد المشرفين على البرنامج وأتى
بمترجم يجيد العربية، وقال: أنا رجل متقاعد من
تركيا، أريد أن أشارككم هذا العمل الجليل..

خذوني معكم فأنا: أريد أن أخدم ضيوف
الرحمن، وأنال هذا الشرف العظيم..

خذوني معكم لأنني: أرجو أن يصفح الله عني
ويغفر لي زلاتي..

خذوني معكم لأنني: أتمنى أن يُخلد اسمي ضمن
الذين بذلوا الغالي والنفيس لخدمة المسلمين من أقطار
المعمورة..

خذوني معكم لأنني: لا أرضى بحياةٍ واحدة،
فخدمة زوار بيت الله المشرف فيها حيواتٌ أخرى!

خذوني معكم لأنني سأفارق بعد أيامٍ هذه الأرض
المقدسة!! وسأرحل ربما إلى غير رجعة؛ فساعدوني
لكي أدرك هذه الغنائم المباركة وأحظى بشرف خدمة
وفد الله في هذه الرحاب الطاهرة ..

خذوني معكم لأنني: أريد أن أكون عالمياً بدعوتي
وخدماتي، فمساعدة رجل واحد من المؤمنين خطوة
نحو الرسالة العالمية، وصدق الله إذ قال: {هُدًى
لِّلْعَالَمِينَ}..!

انضم الحاج المسنّ لكوكة (شباب مكة) ومضى
يخدم ضيوف الرحمن والسعادة ترفرف بأجنحتها على
قلبه .. ولسان حاله : اللهم لك الحمد أن وفققتني
لأكون خادماً لمن جاءك ملبياً قاصداً بابك، مبتغياً
رضاك، طامعاً في جنتك !! اللهم إن غفرت لحجاج
بيتك وتجاوزت عنهم وقبلت منهم؛ فاغفر لعبدٍ مقصرٍ
مذنب قام بخدمتهم وأعانهم وسهّل عليهم واشمله
بكرمك العظيم يا كريم يا متّان ...



مواثبات

ودمعة حاج

٤

لغة من نشاط رعاية المرضى



جاء ملبياً من أقاصي آسيا.. قاصداً بيت الله
الحرام.. يحمل بين جنبيه حباً لو وُزِعَ على جبال
الأرض لأحالتها وروداً وأزهاراً.. كم كان يمني نفسه
بحج بيت الله الحرام.. وكم ذرفت عيناه وهو يشاهد
جموع الحجّاج يغادرون بلده كل عام وهو يودّعهم
والحسرة تمزّق نياط قلبه .. وفي كل مرة كانت مشاعر
الحزن تختلج قلبه ، ولواعج الأسى تحتضن فؤاده ،
لأنه لم يستطع أن يكون من بين وفد الله القادم إلى
أرض الله المقدسة..

ولسان حاله كحال الشاعر البرعي حين أخذ محمولاً
على جَمَلٍ فلما قطع الصحراء وأصبح على بُعد
خمسين ميلاً من المدينة هبَّ النسيم رطباً عليلاً معطراً
برائحة الأماكن المقدَّسة.. فازداد شوقه للوصول؛ لكنَّ
المرض عاقه عن المأمول.. فأنشأ قصيدة لفظ مع آخر
بيتٍ منها نفسه الأخير، يقول في قصيدته:

يا راحلين إلى منى بقيادي هيجتموا يوم الرحيل فؤادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي الشوق أقلقني وصوت الحادي
وحرتموا جفني المنام ببعدكم يا ساكنين المنحنى والوادي
ويلوح لي ما بين زمزم والصفاء عند المقام سمعت صوت منادي
ويقول لي يا نائماً جدَّ السُرى عرفات تجلو كل قلبٍ صادي
من نال من عرفات نظرة ساعة نال السرور ونال كل مرادٍ
تالله ما أحلى المبيت على منى في ليل عيد أبرك الأعيادِ
ضحوا ضحاياهم وسال دماؤها وأنا المقيم قد نحرت فؤادي
لبسوا ثياب البيض شارات اللقاء وأنا الملعوق قد لبست سوادي
فإذا وصلتكم سالمين فبلغوا مني السلام أهيل ذاك الوادي
قولوا لهم عبد الرحيم متيم ومفارق الأحباب والأولاد
صلى عليك الله يا علم الهدى ما سار ركب أو ترنم حادي

وفي كل مرة يودع فيها -الرجل الآسيوي- أحبابه
وخلانه وهم في رحلة الحج.. ينتابه شعور مليء
بالأسى على عمره الذي انصرم.. وعلى شبابه الذي
ولى.. ويحدث نفسه قائلاً: متى سيحقق الله أمنيته بأداء
فريضة الحج وزيارة بيته الحرام.. وأنا أخطو نحو
عقدي السابع.. والأمراض تتناوشني من هنا وهناك!
ولكن أمني كبير في الله عزّ وجلّ ولن يخيب رجائي..
مضت الأعوام تلو الأعوام ويحين الموعد المنتظر..
وأخذ صاحبنا يعدّ العدة لأعظم رحلة في حياته..
ويقدم إلى بيت الله الحرام حاجاً ملبياً نداء الله عزّ
وجلّ.. يا الله ما أعظم الفرحة! وما أعظم السرور!

ما هي إلا أيام وتحطّ الطائرة في مطار الملك
عبدالعزیز بجدة.. فيزداد شوقه.. وتتسارع نبضات
قلبه.. يكاد فؤاده يخرج من بين ضلوعه فرحاً
واستبشاراً بهذا اللقاء الذي سيجمعه مع الكعبة المشرفة
قِبلة المسلمين.. إنها فرحة العمر وأمنية الحياة.. تهاوت
أمام عينيه كل أماني الدنيا ومتعتها.. وانتهت لديه

الأحلام وتصاغرت، إلا هذا الحلم الذي يراوده منذ صباه.. إنها الزيارة الأولى وقد تكون الأخيرة لهذا المكان الطاهر المقدس.. فيشرب من ماء زمزم، ويطوف بالكعبة المشرفة، ويقبل الحجر الأسود، ويسعى بين الصفا والمروة، ويصلي خلف المقام.. ويقف مع الحجاج في عرفات.. ويشهد عيد الأضحى في المشاعر المقدسة.. فحقق الله أمانيه واستجاب دعواته.. وها هو في مكة الآن يصلي في المسجد الحرام فروضه الخمس.. وينعم بمجاورة البيت العتيق.. وحاله:

على الجوارح هبت نسمة الحرم وهام كل فؤادٍ للضياء ظمي
تفيض أعينهم بالدمع من ولاة وكلهم في حمى الباري على قدم

وبينما هو في انتظار موسم الحج إذ يفاجئه مرضٌ
دخل على إثره المستشفى.. وأصبح رهين السرير
الأبيض.. يعاني الآلام.. ويعيش الوحدة.. ويسكنه
حزنٌ شديدٌ ووحشةٌ لا يعلم بها إلا الله..

أحد أعضاء برنامج (شباب مكة في خدمتك) يأتي يومياً إلى المستشفى لساعاتٍ معينة ولمهمة محددة، وهي: رعاية الحجاج المرضى المنومين بالمستشفى، وهو نشاط ضمن عدة أنشطة يراها البرنامج خلال موسم الحج من كل عام.. يقوم هذا الشاب ومجموعة من زملائه، بمرافقة الحجاج المنومين ومواساتهم خلال فترة تنويمهم بالمستشفى، ويقومون بتوفير احتياجاتهم الخاصة، ويخففون من أوجاعهم، ويتابعون حالاتهم بالتعاون مع الفريق الطبي بالمستشفى، وليس بغائب عن أذهاننا أن معظم هؤلاء الحجاج لا يجدون من يرافقهم في المستشفيات أو يهتم بأمرهم من ذويهم، لأنهم في ديار الغربة.. ولكن مكة المكرمة وشبابها عرفوا أن هؤلاء حقاً عليهم فقاموا به، وحاولوا أن يبرهنوا للحاج أن لا غربة بين أهله في مكة ..

مكث الحاج المريض في المستشفى عدة أسابيع.. عرف الشاب بنفسه وأخبره أنه سيأتي يوماً لمتابعة

احتياجاته، وتلبية متطلباته.. ومؤانسته والتعريف على أحواله في اليوم الأول، سأله الشاب المكي: ماذا تحتاج؟ فأخبره الحاج المريض أنه مشتاق لأهله ويرغب في الحديث إليهم عبر الهاتف، إلا أنه لا يملك أية وسيلة اتصال مع أهله ليُطمئنهم على حاله.. كما أخبره أنه بحاجة إلى لحاف إضافي يغطي به وقت نومه..

أحضر الشاب هاتفًا نقالًا للحاج فاتصل بأهله وذويه، وأخبرهم بحالته، وتواصل معهم بكل سهولة وهو على سريرته بالمستشفى.. وكم كان البشر باديًا على وجهه بعد أن تمكن من محادثة أهله..

ومن هنا بدأت العلاقة تتوطد أكثر فأكثر بين الشاب والحاج الآسيوي.. حتى أصبح الحاج ينتظر مجيء الشاب يوميًا كي يأنس به ويسعد بلقائه.. وما إن يدخل عليه حتى تلوح أمارات السرور على محيّا.. وفي المقابل كان الشاب المكي أيضًا يبادلته مشاعر

الحب والأخوة الصادقة ويتودّد إليه بكل ما يستطيع، ويعامله معاملة الابن لوالده المريض.. مضت الأيام والصدّاقة قد توثقت بين الشاب والحاج المريض.. قارب موسم الحج على الانتهاء، والمريض لا يزال حبيس سريره نظراً لحالته الصحية التي تتطلب البقاء لفترة قادمة تحت الرعاية الطيبة.. استطاع الحاج بفضل الله أن يؤدي فريضة الحج عبر سيارات الإسعافات التي تُقلّ الحجاج المنومين في المستشفيات وتنقلهم إلى المشاعر المقدسة، كي لا يفوت عليهم الحج، وهو برنامج تشكر عليه وزارة الصحة ووزارة الحج بالمملكة العربية السعودية.. لم يبق على انتهاء عمل الشاب إلا بضعة أيام.. وأخذ يفكر في طريقة مناسبة ليخبر هذا المريض أنه سيغيب عنه لانتهاء فترة مشاركته في البرنامج.. كان يتوقع الصدمة التي سيشعر بها المريض من خبر كهذا.. ولكن لا مناص من إخباره وتوديعه.. أتى كعادته برفقة المترجم.. جلس معه بعض الوقت بعدما سأله عن حاله واحتياجاته، ولبّي له جميع ما يحتاج إليه.. أخبره الشاب أن عمله قد

انتهى وأنه لن يستطيع أن يأتي بعد اليوم.. طالباً من المريض السماح والعذر..

حينها أمسك المريض بيد الشاب ودخل في نوبة بكاء عارمة.. أخذ يبكي كالطفل وبدأ صوته يعلو.. ودموعه تتحدر من عينيه بصورة مفاجأة.. كان منظر بكائه محزنًا للغاية وهو يردد بصوت يخالجه نسيج: لقد جعلتني أنسى كل همومي وأوجاعي، وكنت أنتظر كل يوم وأصبحت كأحد أبنائي.. أنا لا أستطيع أن أصف لك مشاعري وأنت تودعني، ولكنني أشعر أنني فقدت أحد أبنائي.. أسأل الله العظيم أن لا يحرمك أجر عملك ووقوفك معي في محنتي.. لا أستطيع أن أوفيك حقك مهما قلت ولكن الجزاء الأعظم عند ربك..

اختلفت هذه الكلمات والدعوات مع دموع الحاج.. إنه منظر يعبر بكل جلاء عن قيمة المواساة والمحبة والتضحية والنجدة.. مضى الشاب.. ورحل

الحاج إلى بلاده بعد خروجه من المستشفى.. وقطعاً
سيحمل هذا الحاج قصته مع الشاب المكي كأغلى
هدية لذويه وأهله في بلاده!



مع

أم الشرفاء

٥

لقطه من نشاط خدمة الطاقين



قدمت من فلسطين إلى البلد الحرام وفي فؤادها
حبٌ كبير يتغلغل لهذا البيت العتيق.. كم تمنّت أن
يعجّل الله لها بهذا اليوم الأغرّ قبل أن تنطفئ شمعته
عمرها.. فقد قاربت هذه العجوز عقدها السابع.. ومنذ
طفولتها وهي تحمل من الأمانى والأحلام ما تعجز عن
وصفها؛ طامعةً في رؤية بيت الله الحرام والتشرف
بأداء مناسك الحج، والتّنعّم بالعيش بجوار حرمه
الآمن ولو لساعاتٍ معدودات.. ويشاء الله لها أن تقدم
إلى البيت الحرام وترى وفود الحجيج؛ فكم من عبّرة
انسكبت في تلك اللحظات؟! وكم من ابتهالاتٍ حمدٍ

وشكرٍ تسابقت إلى الله تعالى شكراً له على هذه النعمة العظيمة؛ حيث حقق الله لها مرادها.. لمحت ببصرها وقلبها بيت الله الحرام.. ويا لجمال هذا المشهد وروعة هذا المنظر الذي تتصاغر عنده كل مناظر الدنيا ومباهجها..

أرضٌ بها البيت المحرّم قبلة للعالمين له المساجد تُعدّل
حرمٌ حرام أرضها وصيودها والصيد في كلّ البلاد محلّل
وبها المشاعر والمناسك كلها وإلى فضيلتها البريّة تُرحل
وبها المقام وحوضٌ زمزم مُترعاً والحجر والركن الذي لا يجهل
والمسجد العالي الممجّد والصفاء والمشعران ومن يطوف ويرمل
هل في البلاد محلّة معروفة مثل المعرف أو مجمّر يُحلّل

أتت بكل أشواقها وحنينها إلى البيت الحرام.. غير
أن الأيام والسنين قد تركت آثارها على جسدها
المهترئ.. إذ رقّ عظمها وضعفت قوتها وتضعضع
شبابها واشتعل رأسها شيباً فكيف يا ترى تزاحم هذه
الجموع لتطوف وتسعى؟! وكيف لها أن تحمل نفسها
بين هذه الأفواج.. وبينما هي تسرح بفكرها وخيالها إذ

مرّ بجوارها أحد (شباب مكة) المتطوعين بعربة يدفعها.. فطلبت العجوز من هذا الشاب أن يقوم بتطويفها، فرحّب بها الشاب ومضى يطوف بها حول الكعبة المشرفة.. ثم انتقل بها إلى المسعى.. فأتمّ سعيها بين الصفا والمروة.. لفت انتباه الشاب وهو يطوف بهذه العجوز بكأؤها المستمر، ونحيبها المتواصل طوال مدة الطواف والسعي.. لا تكاد تهدأ لبضع دقائق حتى تعود باكيةً تمسح دموعها وهي تتمتم بكلمات ودعوات خفية.. أخذ الشاب يفكر بينه وبين نفسه لماذا تبكي هذه العجوز بهذه الصورة؟! وما الذي يؤلمها لكي يأخذها هذا النحيب المتواصل.. وفي نهاية السعي، تجرّأ الشاب بعد أن دفعه الفضول، وسأل العجوز: أيتها الوالدة ما الذي يبكيك؟

وكيف أستطيع أن أخدمك وأخفف عنك؟ هل فقدت أحداً؟ هل أصابك مكروه؟.. قالت العجوز: لا يا بُني، ولكنك حين قدّمت لي هذه الخدمة العظيمة وقمت بتطويفي، تذكّرت ابني الشهيد الذي

استشهد في فلسطين.. وتمنيت أن يكون بينكم هنا في مكة، وفي حرم الله لكي يخدم ضيوف الرحمن مثلكم.. وأنت يا ولدي تقوم بمهمة شريفة تتمناها كل والدة لولدها؛ فأى عمل أعظم وأشرف من خدمة ضيوف الرحمن والسعي لراحتهم وتسهيل أمور مناسكهم.. ولم تنه كلامها حتى قامت العجوز تريد تقبيل يد الشاب الذي قام بخدمتها ولكنه رفض، وذكرها بفضيلة الصبر والاحتساب وما للشهيد عند الله تعالى من مكانة عالية ومنزلة رفيعة..

فلربّ خدمة يسيرة يقدمها المرء بإخلاص وتجرّد،
يكون لها من الوقع والتأثير ما لا يمكن أن يصفه لسانٌ
بليغٍ أو قلمٌ أديب!



حكاية الطفل التائه

1

لغظة من نشاط إشاد التائهين



بيت الله الحرام مهوى أفئدة الناس جميعاً صغاراً
وكباراً، رجالاً ونساءً.. حتى أولئك الصغار الذين لم
يبلغوا الحلم والأطفال الذين لم يميزوا بعد، تتوق
أنفسهم حباً وحنيناً إلى زيارة بيت الله الحرام..

كيف لا! وقد عمّ دعاء الخليل إبراهيم عليه
السلام، جميع الناس يوم قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ
ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ

أَثْمَرَتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿إبراهيم﴾ وكيف لا! يحنّ
الأطفال إلى هذا البيت وقد جعل الله حبه مغروساً في
الأفئدة متأصلاً في الفطر؟! ولذا لا غرابة أن تشاهد في
حرم الله الصغار والأطفال، والكل يروي ظمأه بروية
هذا البيت المبارك!

رمزُ الخلود وكعبةُ الإسلام كم في الوري لك من جلالِ سام
يهوي البناءُ إذا تقادم عهدهُ وأراكِ خالدةً على الأيام
في كل عامٍ حول بابك وقفه للناس من عرب ومن أعجام
فإذا الحجيجُ توافدتُ أفواجه وتزاحمتُ في البيت أيّ زحام
أبصرتَ نَمَّ عُرَى الإخاء وطيدة وشهدتِ حقاً قوة الإسلام

طفل تائه في المسجد الحرام لم يبلغ السادسة من
عمره.. أخذ يبحث عن أبويه يميناً وشمالاً.. ودموعه
تتحدّر على خديّه.. ويدخل في نوبة بكاء صارخ..
وحاله تدعو إلى الشفقة والرحمة.. أخذ هذا الصبي
يجول بين الزحام ويرمي بنفسه ذات اليمين وذات

الشمال باحثاً عن أبويه.. ولكن أنى له أن يهتدي إليهما في خضم هذه الوفود البشرية الكثيفة التي تعبد الله عز وجل.. لمح أحد شباب مكة الصبي وهو على حالته تلك فما كان منه إلا أن أخذه بيده ومسح دموعه وهدأ من روعه.. وعلى الرغم من أن الشاب لا يعرف لغة الصبي إلا أنه ظل يداعبه ويمازحه ويخفف عنه لوعته وأعطاه شيئاً من الحلوى والهدايا التي كان يحملها معه.. ورفع الشاب على كتفيه رجاء أن يلمحه أحد أبويه من بين جموع الطائفين، فسكن الطفل وهدأ قليلاً.. غير أن فقده لوالديه قد ترك على وجنتيه وملامحه أشكالا من الحزن وألواناً من المعاناة.. وبين كل فترة وأخرى يطلق زفرة حرى تتقطع لها أكباد من يشاهده أو يسمع بكاءه.. وبعد أكثر من ساعتين متواصلتين من البحث عن والديه لم يفتر خلالها الشاب..

فجأة يُقبل عليه والد الطفل ووالدته.. وهما يشاهدان ابنهما على كتف الشاب.. فما كان من الطفل

إلا أن رمى بنفسه في حضان أبويه ، وهو يبكي من شدة
الفرح.. أما والداه فلم يستطيعا أن يعبرا عن شكرهما
وتقديرهما وإعجابهما بموقف هذا الشاب إلا بدمعات
صادقة تساقطت.. وعبرات ممزوجة بالشكر تهاطلت..
وكلمات بالدعوات تناغمت.. أما الشاب فقد شعر
بفرحة غامرة أثلجت صدره.. وسعادة ملأت قلبه..

ما أجمل تلك اللحظات التي يشعر الإنسان فيها أنه
استطاع أن يترك أثراً حسناً في قلوب الآخرين، وما
أسعد تلك الأوقات التي يحس المرء فيها أنه أسدى
لغيره خدمة يلامس من بصمتها روح السعادة،
وإشراق الحياة.



قبلة

على رأس حاج

لقطة من نشاط رعاية الحجاج المرضى



الساعة تشير إلى العاشرة مساءً.. بدأت أروقة
المستشفى تخلو من الزوّار.. وبدأ الهدوء يخيم على
غرف المرضى.. سكنت الأصوات إلا من تمتمات
بعض المرضى مع مرافقيهم.. في العادة لا يأتي في
مثل هذا الوقت إلى غرف التنويم إلا الطاقم التمريضي
والأطباء المناوبون.. وفي النادر يأتينا بعض المرضى
من قسم الطوارئ ممن تتطلب حالاتهم العناية الفائقة..
في ذلك المساء كنت كعادتي أجلس في زاوية من زوايا
المستشفى.. أقوم بمتابعة حالات المرضى المنومين
ورعايتهم نفسياً ومعنوياً، وأقوم بتلبية رغباتهم وما

يحتاجون إليه.. وخاصة مرضى الحجاج، حيث يعيشون ظروفًا نفسية صعبة نظرًا لبعدهم عن ديارهم وغربتهم وعدم إجادة معظمهم للغة العربية أو الانجليزية، ولعدم وجود من يزورهم أو يؤنسهم في حالاتهم.. كنت أنفقد المرضى يوميًا، ولدي أصدقاء كثر من حجاج بيت الله الحرام من مختلف الجنسيات.. أزورهم عدة مرات في اليوم الواحد.. أستمع إلي أحاديثهم.. وأحاول أن أقطع مللهم في المستشفى بشيء من الأحاديث الودية.. وحقيقة كنت أستمع بهذا العمل أيما استمتاع، وأشعر براحة وسكينة عجيبتين، وأعيش أجواءً من الفرح والغبطة مع الحجاج وخدمتهم وإدخال السرور عليهم.. فكل حاجٍ لديه قصة يريد أن يسردها لك.. وكل مريضٍ لديه حديث ودّ أن لو وجد أذنًا صاغيةً له..

في ذلك المساء الهادئ الجميل جيء بأحد الحجاج المرضى من قسم الطوارئ.. كان يعاني من حالة مرضية حرجة.. استقبلناه في غرف التنويم.. قام

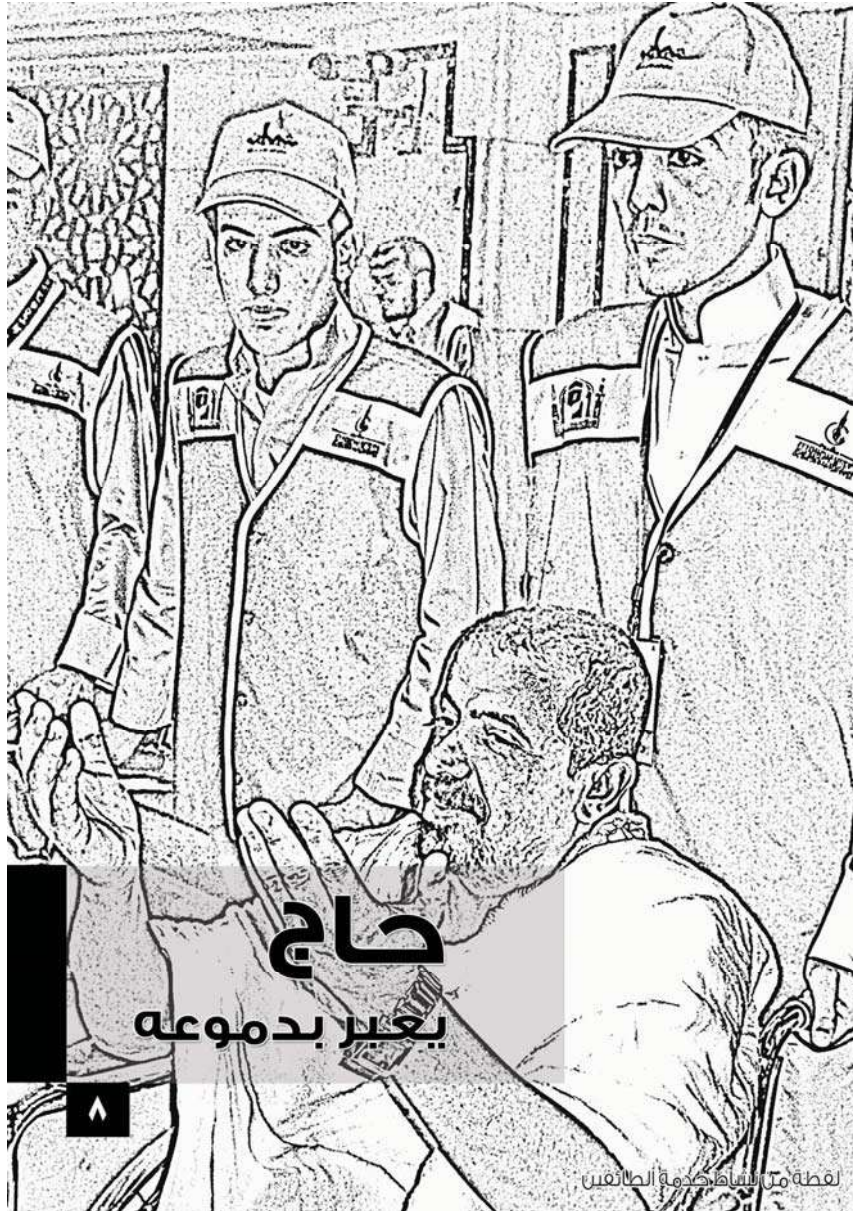
فريق التمريض بتبديل ملابسه وإصلاح حاله وتهيئة سريره.. وكنت أتابع حالته النفسية، وأحاول مواساته والتخفيف عنه.. إلا أن العائق الذي واجهني وواجه الفريق الطبي بالكامل.. أننا لم نتعرف على لغة هذا الحاج التي يتكلم بها، ولم نجد وسيلة نستطيع من خلالها أن نتخاطب معه.. فحاولنا بشتى الوسائل أن نتوصل إلى أي مترجم نستطيع من خلاله أن نتحدث إليه، ونسأله عن ذويه وما يحتاج إليه حال بقائه بالمستشفى، فطبيعة العمل الذي نؤديه تتركز بالدرجة الأولى على تفقد أحوال المرضى ورعايتهم وخدمتهم بما يحقق لهم الطمأنينة والأمان في بلد الأمان..

باءت كل محاولاتي ومحاولات الطاقم الطبي بالفشل في الحصول على أي لغة نتمكن من خلالها التواصل معه.. ولم تعد لغة الإشارة تجدي كثيراً.. فكّرنا ملياً كيف نستطيع أن نعرض عليه خدماتنا.. ونوضح له بأننا من شباب مكة أتينا لخدمته ومواساته والتخفيف عنه!

احترار الجميع وبدت علامات الاستغراب تظهر
على وجه المسنّ المريض..

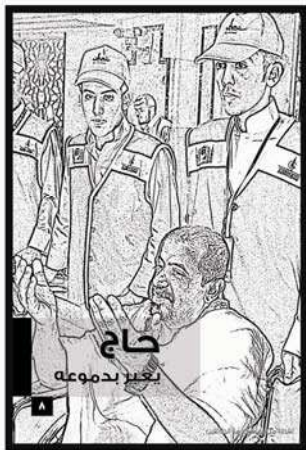
في هذه الأثناء طرأت فكرة سريعة على ذهن
زميلي المرافق.. فقام على الفور بتطبيقها مباشرة
أمامي.. قام زميلي واقترب من هذا الحاج، وقبّل رأسه
برفق وحنان.. وكأنه أراد أن يشعره بالحب والعاطفة
ويمنحه شعوراً بالأمان بطريقة عملية لعل الحاج يفهم
دورنا وعملنا الذي نقوم به.. قُبلة واحدة عابرة على
رأس هذا الحاج المسنّ؛ ولكنها في الحقيقة استطاعت
أن توصل كل الرسائل التي كنا نودّ إيصالها..
لقد كانت هذه القُبلة أبلغ تعبير وأفصح بيان ترجمت
كل ما نريد أن نقوله.. وكانت بمثابة الشيفرة الغائبة
التي قادتنا إلى ما نريد.. فانطلق العجوز يبكي بكل
عاطفة ورقة كأنه طفلٌ صغير.. أخذ يلقي بنظراته البريئة
على شباب مكة المكرمة فرداً فرداً.. وكأنه يشكرهم
بدموعه لا بكلماته.. أخذ يبكي لأكثر من عشر دقائق..
بسبب هذه القُبلة التي أشعرته بالحب والرعاية

والأمان.. إنها قُبلَة المشاعر الصادقة التي تتجاوز كل لغات العالم وترجم عن كل المعاني والقيم السامية.. إنها قُبلَة الحب والأخوة والعاطفة الصادقة التي يكتنّها المسلم لأخيه المسلم.. إنها قُبلَة الاحترام والتقدير والإجلال لضيوف الرحمن!! إنها قُبلَة الأمان في بلد الأمان والإيمان حين يمنحها الشاب المكي لمن أتى مكة حاجاً أو معتمراً فتتجلى معها كل معاني الفرحة والسرور.. وتبدو فيها كل مظاهر الأخوة والمواساة!



حاج يعبر بدموعه

لقطة من لقاء كريمة الصائغ



جموع المسلمين تضحُّ أصواتهم الندية بذكر الله في
صحن الطواف.. الجميع هنا خاشع لله تعالى..
والجميع يمشي في سكينه ووقار.. والكل هنا بين
طائفٍ وخاشعٍ وذاكرٍ وقارئٍ للقرآن قد سكنت
قلوبهم، وهدأت جوارحهم، واستكانت نفوسهم..
أحد حجاج بيت الله الحرام من كبار السن.. أخذ يتابع
هذا الموقف بدهشة بالغةٍ وحب عميق لهذا البيت
والطائفين حوله.. فقد أنفق كل ما يملك، وقدم كل ما
ادّخر.. ليأتي حاجاً إلى بيت الله ويبهج ناظريه برؤية
هذا البيت المعظم والطواف حوله.. جاء وهو يقتصد

في النفقة ويحاول أن يمسك قدر ما يستطيع من المال القليل الذي يملكه ويكفيه إلى نهاية رحلته المباركة ويعود إلى أهله وبلده سالمًا مأجورًا..

أخذ هذا الحاج المسنّ يرقب المشهد وهو يقول لنفسه: كيف لي أن أطوف بهذا البيت وآلام الركب والمفاصل قد اشتدت؟! وكيف لي أن أخطو على قدمي كل هذه الأشواط ثم أسعى بين الصفا والمروة وأنا بهذا الضعف وقلة الحيلة؟! نظر الرجل إلى جهة مقابلة كان يقف فيها مجموعة من العاملين وبين أيديهم عربات يعرضونها للحجاج بمقابل مادي.. ذهب إليهم بخطواته المتعرجة وسألهم عن قيمة أجرة هذه العربات فقال أحدهم: خمسمائة ريال، وقال الآخر: أربعمائة ريال، وقف الرجل محتارًا.. فالمبلغ كبير بالنسبة له وهو لا يملك هذا المبلغ.. حاول أن يجد عربةً بسعر أرخص من هذه الأسعار فلم يتجاوب معه أحد.. أدار وجهه وهو يفكر كيف يستطيع أن يطوف ويسعى ومن سيخدمه، وآلاف الناس حوله، كلُّ في شأنه وحاله..

في هذه الأثناء كان أحد رجال الأمن يستمع إلى هذا الحوار الدائر بين هذا الرجل وأولئك العاملين.. فلما رأى انصراف الرجل المسنّ أدركه رجل الأمن، وقال له: اذهب إلى هنالك.. وستجد مجموعة من (شباب مكة) سيخدمونك لوجه الله تعالى دون مقابل مادي.. استغرب الحاج من كلام رجل الأمن، وقال متعجباً: بدون مقابل؟! أجابه رجل الأمن: نعم، هؤلاء شباب مكة من "مشروع تعظيم البلد الحرام"، يخدمون الحجاج والمعتمرين مجاناً.. انطلق الرجل إلى تلك المجموعة.. وطلب منهم خدمته، ولم تمض لحظات حتى انبرى له أحد المتطوعين، فأجلسه على عربته وانطلق به طائفاً وساعياً حتى أكمل طوافه وسعيه.. قام الرجل عن عربته وهو لا يدري كيف يشكر هذا الشاب، وكيف يشكر هذا المشروع الذي نظم هذا البرنامج الخدمي لضيوف الرحمن!

لم يتمالك نفسه واكتفى بالتعبير عما يجول في فؤاده من مشاعر وأحاسيس بدمعات فرح منسكبات..

تلتهأ دعوات شكر وكلمات امتنان صادقات لهذا
الشاب وللقائمين على البرنامج!



خلاف في الحرم

٩

لقطة من نشاط خدمة الطائفين



الطواف حول البيت وبخاصة أيام المواسم أمر
يبدو عسيراً للغاية.. فالزحام وحرارة الأجواء يجعلان
الأمر أكثر صعوبة.. امرأةٌ خليجية وقفت تشاهد منظر
الطواف المهيب.. والزحام على أشده وأصوات
الطائفين ترتفع في خشوع وطمأنينة.. إنه موقف رهيب
يأخذ بالألباب ويجعل المسلم في نشوة إيمانية عجيبة..
أخذت هذه المرأة ترقب المشهد بكل معاني التعظيم
والإجلال لهذا البيت الحرام.. ولسان حالها:

أهيم بروحي على الراية وعند المطاف وفي المروتين
وأهفو إلى ذكّرٍ غاليه لدى البيت والخيف والأخشين
فيهدر دمعني بأماقيه ويجري لظاه على الوجتين
ويصرخ شوقي بأعماقيه فأرسل من مقلتي دمعين

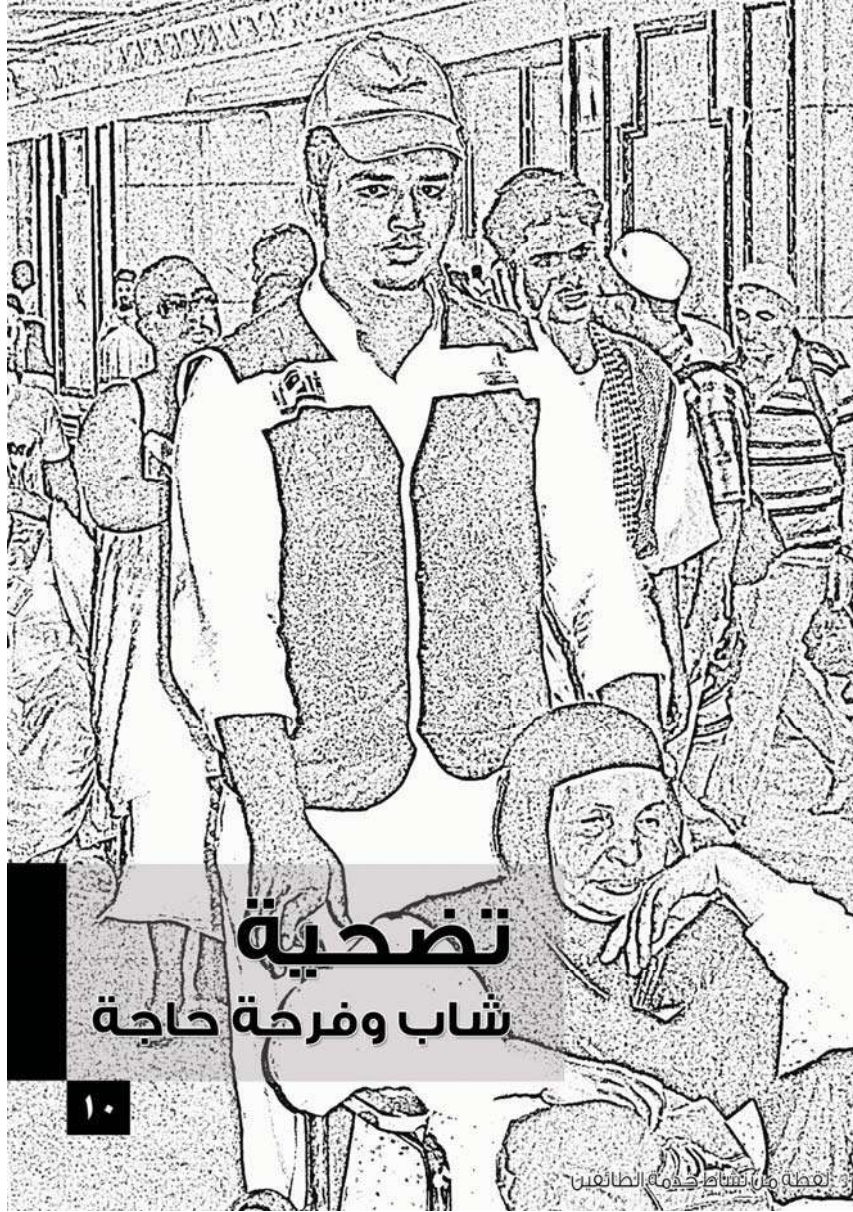
كان ضعفها قد أوقفها بالقرب من أحد (شباب
مكة) ممن كانوا موجودين في ساحة الطواف.. طلبت
المرأة من الشاب أن يقوم بتطويفها دون أن تسأل عن
سعر الخدمة وهي تمنى نفسها أن تشارك الطائفتين على
عربة هذا الشاب، ولو كلفها ذلك ما كلفها.. فاستقبلها
الشاب بكل ترحاب ومضى يدفع العربة والمرأة متفرغة
للذكر والدعاء والتسبيح.. وبعد أكثر من ساعة ونصف
الساعة.. انتهى الطواف وقامت المرأة وأخرجت من
حافظتها مبلغاً كبيراً تريد أن تكافئ به هذا الشاب مقابل
خدمته لها.. وفي أثناء هذا الموقف حضر ابن هذه
المرأة، فرفض الشاب أن يأخذ أيّ مقابل نظير خدمته،
بعد أن أوضح له أن (برنامج شباب مكة) برنامج
تطوعي مجاني لضيوف الرحمن ولا يأخذ أي مبلغ من
أي أحد ولا نريد إلا رضا الله تعالى، ثم شرف خدمة

ضيوف الرحمن في هذه البقعة المباركة.. لما عجز ابن المرأة أن يقنع الشاب ليأخذ المبلغ، حاول أن يضعه في جيبه بطريقة ما والشاب يمسك بيده رافضاً أخذه..

وأثناء هذا التدافع البريء، انتبه أحد رجال الأمن، فأتى مسرعاً لكي يفضّ هذا الاشتباك، ويفصل بين المتخاصمين، ظاناً أنّ خلافاً ما حصل بين الشاب وبين هذه المرأة وابنها.. وقد عقدت الدهشة لسان رجل الأمن حين عرف حقيقة الموقف، والدور البطولي الذي ظهر في خدمة هذا الشاب لهذه المرأة، ورفضه أخذ أي مبلغ مقابل خدمته.. ابتسم رجل الأمن وهو يرتب على كتف الشاب المكّي، قائلاً له: لقد علمتنا درساً عظيماً في معنى التضحية والبذل وخدمة الآخرين ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى، أسأل الله أن لا يحرمك والعاملين معك أجر هذا العمل..

أما المرأة فقد أخفت دمعاتها وأخذت تدعو الله أن يجزي هذا الشاب والقائمين على (مشروع تعظيم البلد

الحرام) خير الجزاء على ما قدّموا ويقدمون لمكة
المكرمة وضيوفها!

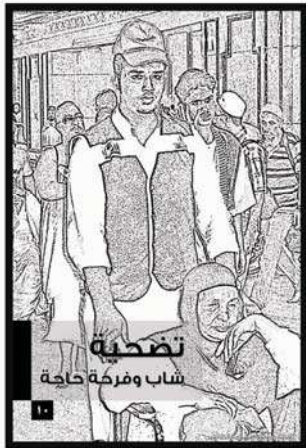


تضحية

شباب وفرحة حاجة

١٠

3: قصة من نشاط خدمة الطائفين



الحج جهاد المرأة المسلمة كما ثبت في
الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قالت: قلت: يا
رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لَكُنَّ
أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» فقالت
عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً: «جهاد
الكبير والصغير والضعيف والمرأة، الحج والعمرة» [رواه
النسائي، وحسنه الألباني] ومن تأمل أركان الحج وواجباته وعرف
أحواله وما يحتاجه من بذل المال والجهد وترك
الأوطان والسفر والمشقة عرف معنى هذا الجهاد..

ورغم ذلك كلّه فإن نفوس المؤمنين والمؤمنات متعلقة^{٢٦} بهذا الركن العظيم.. ولا تزال تتوق إلى حج هذا البيت عاماً بعد عام.. حتى من عذرهم الله لمرض أو عجز أو عدم استطاعة تراهم يبكون حزناً أن لم يستطيعوا أداء هذا الركن من أركان الإسلام.. ولذا كم من دمعات تُراق كل عام في موسم الحج، تنحدر ساخنة من أعين من لم يتيسر لهم شهود هذه المشاهد العظيمة، وحضور هذه المشاعر المقدسة.. وكم من أنفسٍ تواقّة إلى رؤية البيت الحرام والطواف حوله والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى تتكبد الحسرات على فوات هذه الخيرات.. والله در القائل يوم قال هذه الأبيات وهو يصوّر حاله:

قِف بنا يا سَعْد نَنْزِلْها هُنَا فَأَثِيلاتِ النَّقْمِ مِيعادُنَا
وَأَبْتَغِ لِي عِبْرَةً أَبْكِي بِها فَدُمُوعِي نَفَدتِ بِالْمُنْحَنِ
هَذِهِ الخَيْفُ وَهَاتِيكَ مُنَى فَتَرَفَّقَ أَيُّها الحادِي بنا
وَاحْبِسِ التَّدْلِيحَ عَنَّا ساعَةً نَنْدُبُ الحَيَّ وَنَبْكِي الوَطْنا
أَهْلُ مَكَّةَ هَكَذا مَكَّتْكُمْ كُلٌّ مَن حَجَّ إِلَيْها فُئِنَّا

امرأة عجوز قدمت من باكستان تجاوزت السبعين..
احدودب ظهرها، ووهن عظمها، واشتعل رأسها
شيباً.. حقق الله حلمها الأكبر في حياتها.. فجاءت
قاصدةً بيت الله الحرام.. ملبيةً نداء ربها.. يحدوها
الشوق والحنين إلى رؤية الكعبة المشرفة والاستمتاع
بالصلاة في المسجد الحرام، وشهود المشاعر المقدسة
مع المسلمين.. فكم قد ذرفت من دموعٍ في سنوات
خلت.. وهي تشاهد وفود الرحمن واقفة بعرفة، أو
طائفة بالكعبة المشرفة.. حتى جاء اليوم الذي تنتظره
بفارغ الصبر.. فكانت مع جموع الحجاج.. جاءت
ولسان حالها:

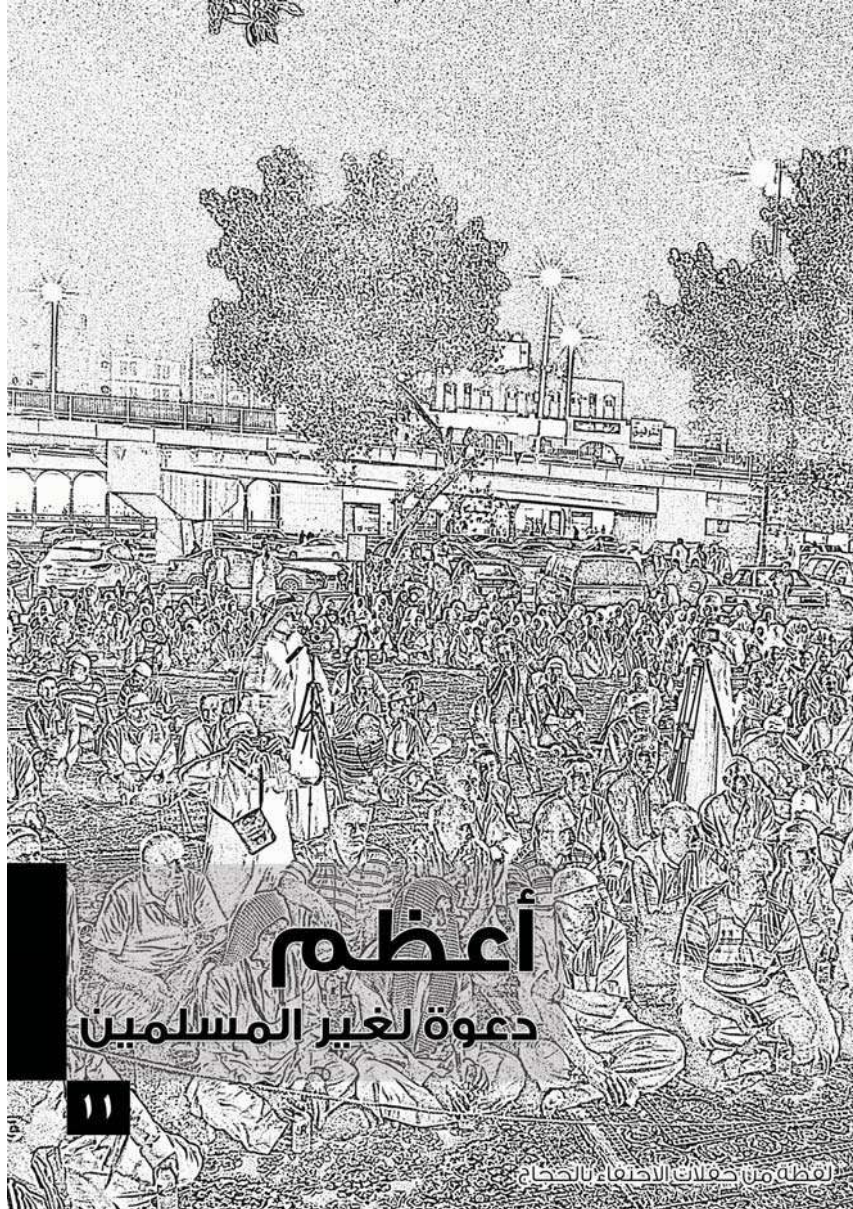
إليك إلهي قد أتيتُ ملبياً فبارك إلهي حجتي ودعائيا
قصدتك مضطراً وجئتك باكياً وحاشاك ربي أن ترد بكائيا
كفاني فخراً أنني لك عابد فيا فرحتي إن صرتُ عبداً مواليا
أتيتُ بلا زادٍ وجودك مطمعي وما خاب من يهفو لجودك ساعيا
إليك إلهي قد حضرتُ مؤملاً خلاصَ فؤادي من ذنوبي ملبيا

وصلت الحاجة إلى بيت الله الحرام، واقتربت من هذا المقام الجليل المهيب في السابع من شهر ذي الحجة ودموعها على خدها تنهمر بلا توقف، وصحن الطواف وأروقة المسجد الحرام وساحاته في ذروة الزحام.. وحجاج بيت الله الحرام، يجأرون بالتلبية والذكر.. حاولت الاقتراب أكثر من الكعبة المشرفة، فلم تتمكن بسبب الزحام.. قالت في نفسها: يا الله! كيف لي أن أطوف بهذا البيت؟! كيف لي أن أتشرف بتقبيل حجر الجنة الحجر الأسود وأمسح الركن اليماني؟! مضت عبراتها تسبق تساؤلاتها وهي واقفة عاجزة.. والحسرة تقطع كبدها.. ظلت برهة من الزمن لا تعرف ماذا تصنع.. ذهبت يميناً وشمالاً علّ أحداً يساعدها.. وفجأة لمحت أحد العاملين في الحرم ومعه عربة يقودها.. أسرعت بخطواتها نحو هذا العامل وطلبت منه أن يقوم بتطويفها.. وإذا به يطلب منها مبلغاً كبيراً مقابل تطويفها.. نظرت إليه باستغراب وهي

لا تملك إلا قدر ما يكفيها لحجتها! وأنى لها بهذا
المبلغ الكبير؟!!

أدار العامل وجهه ومضى لحاله، واتخذت
العجوز ركنًا قصيًا في المسجد الحرام تبكي وتندب
حظها ومكثت على حالها أكثر من ست ساعات
متواصلة وهي تبكي وتبكي.. ولا تعلم كيف ستطوف
وبأي حال.. وقد ظنّت أنّ كل من في المسجد الحرام
سيطلبون منها هذا المبلغ الذي لا تملك عُشره.. وبعد
ست ساعاتٍ متواصلة شاهدها أحد (شباب مكة)..
اقترب منها وسألها بلغة الإشارة عن حالها وعن
حاجتها.. فعرف الشاب حاجتها إلى من يساعدها كي
تؤدي الطواف والسعي فعرض خدمته لها.. قامت
فرحةً مستبشرة.. حملها على العربة وهي لا تكاد
تصدق ما يجري.. وقام بتطويفها.. ولما انتهى الطواف
والسعي، وقفت واجمة مبهورة لا تعرف كيف تشكر
هذا الشاب.. فقامت بعفويتها وضمته أمام الناس وهي
تبكي وتدعو.. ومضت تحاول تقبيل يد المشرف على

البرنامج ومن قام بخدمتها من شباب مكة.. انتهى
المشهد بكل أبعاده وجوانبه.. إلا أن هذه العجوز لن
تنسى هذا الموقف المشرف لشباب مكة ما أبقى الله
فيها روحاً تنبض بالحياة..!

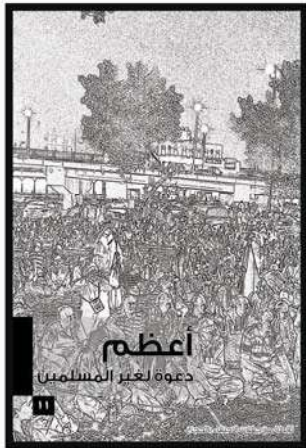


أعظم

دعوة لغير المسلمين

11

أقلمه من صفات الأصفياء بالخطام



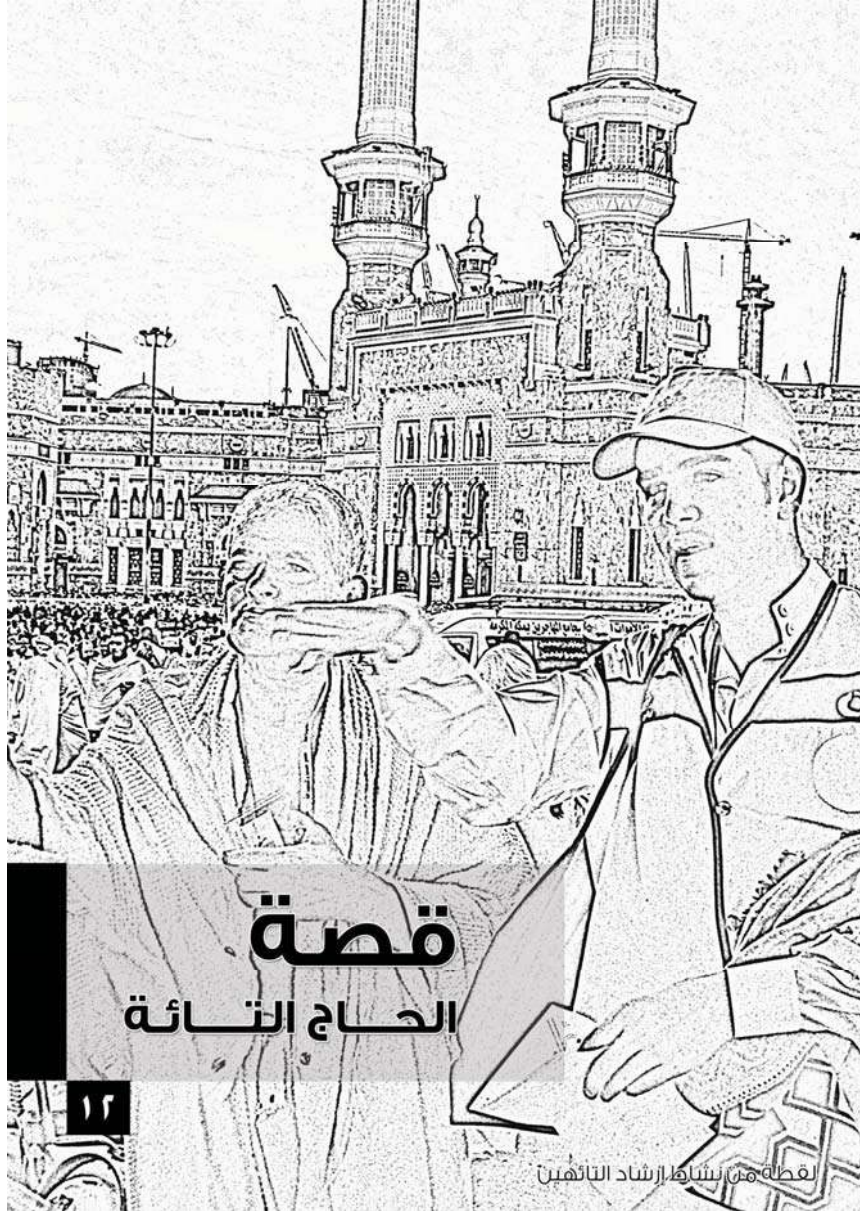
يقترب موسم الحج ويستعدُّ حجاج غينيا في بلدتهم
لرحلة العمر، ويتأهبون للسفر إلى بيت الله الحرام
لأداء فريضة الحج، وداعي الشوق يحدوهم لبيت الله،
ولو كان بمقدورهم لحركوا عقارب الساعة كي تحين
فرصة الوصال ويقترب موعد السفر المبارك والرحلة
الإيمانية.. يركب الحجاج الطائرة والجميع يرتدي إزاراً
ورداً جعلت صورتهم بلباس الإحرام تبدو أجمل
وأنقى، الكل سعيد هنا والكل يرقص فؤاده طرباً
وفرحاً بهذه الرحلة المباركة؛ فبعد ساعاتٍ قليلة
سيصلون إلى الأرض الطاهرة "مكة المكرمة"،
وسيرون بأمّ أعينهم الكعبة المشرفة ويطوفون حولها،
ويقبلون الحجر الأسود، ويشربون من ماء زمزم،
ويسعون بين الصفا والمروة، ويجاورون بيت الله

الحرام لأيام معدودات، يؤدون فيها مناسك الحج..
 ما أجمل هذه المشاعر التي سيطرت على قلوب ركاب
 الطائرة التي ستقلع من غينيا متجهة إلى مطار جدة،
 وهي تحمل على متنها أكرم وفد وأجل جماعة إنهم
 "وفد الله".. كانت الفرحة تحيط بهم من كل جانب،
 وطائر السعد يحفهم بأجنحته.. والكل متلهف مشوق..
 ينتظر أن يحقق الله أحلامه التي عاشها بعضهم ربّما
 لسنوات طويلة، وقد آن أن تتحقق هذه الأحلام..

تهبط الطائرة على مدرج مطار الملك عبدالعزيز
 بجدة، ويصل الوفد الغيني إلى بيت الله الحرام ويستقر
 الحجاج في سكنهم بمكة بعد أن عاشوا أجمل
 اللحظات التي تمنّوها؛ فطافوا طواف القدوم،
 وسعوا، وأنسوا بالبيت الحرام وأخذوا يستعدون لأداء
 مناسك الحج وقد بقي عليها قرابة أسبوع واحد، كانت
 الأيام تمرّ سريعة جميلة على الحاج (ريمي) أحد
 حجاج غينيا وفي مساء أحد الأيام يخبره رئيس الوفد

أنهم مدعوون جميعاً لحضور حفل خاص أعدّه لهم (شباب مكة) بالقرب من مقر سكنهم احتفاءً بهم، وإكراماً لهم، فرح الحاج (ريمي) كثيراً وسُرَّ بهذه الدعوة وكان من أوائل الحاضرين، وبعد انتهاء الحفل قابله أحد (شباب مكة) من المشرفين على البرنامج فسأله: كيف رأيت الحفل وما هي مشاعرك؟ يقول (ريمي) حضرت إلى مقر الحفل لأعرف سرّ هذا الاحتفاء، ومناسبة هذا الحفل الذي يقيمه شباب مكة لنا ونحن ضيوف على أراضيتهم، أتينا لأداء فريضة الحج!! كانت احتمالات كثيرة تدور في مخيلتي فأتيت مبكراً إلى مكان الحفل لأشاهد ما الذي يجري بالضبط! قبل بدء الحفل؛ شاهدت مجموعاتٍ شبابية تعمل بكل نشاط وهمّة لتجهيز المكان والمنصة للضيوف؛ فهنالك مجموعة من الشباب تقوم بفرش المكان، وأخرى تقوم بتعليق الإضاءة، وثالثة تجهّز لنا المشروبات الباردة والساخنة، ومكثت أرقب هذا

الوضع بكل سرور وإعجاب، وما هي إلا لحظات
ويكتمل الحضور وتبدأ فقرات الحفل فسمعت من
كلمات الترحيب والاحتفاء بنا ما أثلج صدري وجعلني
سعيداً مبتهجاً بهذا الحفل، وكنت أردد في نفسي
وأقول وأنا أشاهد هذا الاحتفاء والتكريم: صدق الحق
سبحانه يوم قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
[الأنعام: ١٢٤]، فسبحان من سخر هؤلاء الفتية كي يقوموا
بإكرامنا، وسوف أعود إلى بلدي وأنا أحمل هذه
الصور واللقطات وهذه المشاهدات وأنشرها لهم
هناك، ليروا حفاوة إخواننا أهل بيت الله الحرام بنا،
وسوف تكون أعظم دعوة بإذن الله لغير المسلمين في
بلادي، وفقكم الله وبارك فيكم!



قصة الحاج التائه

١٢

لقطة من نشاط ارشاد التائهين



تخيل أنك في بلد غريب.. لا تعرف لغة أهله،
ولا تملك أي وسيلة اتصال؟!!

وفقدت ذويك في مكان مزدحم كالمشاعر
المقدسة، وفوق ذلك فقدت مالك وأوراقك الرسمية
وجميع مقتنياتك الشخصية، وانتقلت من مشعر لآخر
على قدميك؟!!

فلا تملك مالاً كي تسد جوعتك أو تروي ظمأك،
ولا تجيد لغة تستطيع بها أن تسأل عن أهلك
ومرافيك..! كان هذا باختصار حال أحد الحجاج من

باكستان.. رجل كبير في السن.. محدودب الظهر..
تغطّي وجهه الأسمر هالة بيضاء من شعر رأسه
ولحيته.. لا يعرف شيئاً من اللغة العربية.. يمشي
بخطوات متثاقلة.. فقد مجموعته في عرفة وسط
الزحام.. بحث عنهم في كل مكان فلم يجدهم.. انتقل
مشياً على قدميه من عرفة إلى مزدلفة.. ثم إلى مشعر
منى.. يمشي مع الركب وحيداً فريداً رغم كثرة
الجموع.. يحدث نفسه بثواب الحج وخروجه من
ذنوبه كيوم ولدته أمه.. فيزداد نشاطه.. وترتفع
معنوياته.. وفجأة يتذكر زملاءه ورفاقه فيرق قلبه
ويحنّ.. ويتذكر حاله ومصيره المجهول فيبكي حرقه
وحزناً على حاله.. حتى قدم وهو على تلك الحالة من
الضعف والشتات إلى المسجد الحرام مشياً على
قدميه.. كان في حالة يرثى لها.. أشعث الشعر.. حافي
القدمين.. رث الحال.. من يراه يشفق على حاله، قد
تشققت قدماه من كثرة المشي.. وملابس إحرامه قد
اتسخت واغبرّت..

وفي المنطقة المركزية بساحات المسجد الحرام.. يقف أحد الشباب من (برنامج شباب مكة).. مهمته تفقد أحوال الحجاج والبحث عن أصحاب الحاجة والتائهيين لإرشادهم ومساعدتهم.. رآه الشاب المكي.. استوقفه وسأله عن حاله ليقدم له المساعدة.. توقف الرجل وأشار إلى فمه وحاجته الماسة لطعام أو شراب.. أخذه الشاب إلى ناحية من المنطقة المركزية.. أجلسه وقام مسرعاً واشترى له طعاماً ليأكله.. واشترى له حذاءً وألبسه، يقول الشاب: لقد عجبت من سرعة التهامه للطعام الخفيف الذي اشتريته له واستغراقه في شرب الماء بصورة غريبة لم أشاهد في حياتي مشهداً كهذا.. فلقد علمت فيما بعد أن هذا الرجل لم يأكل منذ يومين.. وتنقل بين المشاعر على قدميه باحثاً عن أهله ورفاقه.. ولم يتمكن من الحديث إلى أحد لكي يساعده، لجهله باللغة العربية..

أخذه الشاب وذهب به إلى مكتب إرشاد التائهيين.. وعند المكتب امتنع الحاج أن يبقى بمفرده.. وتعلق

بهذا الشاب ورفض أن يتركه في المكتب مصرًا على أن يوصله إلى مقر سكنه في مكة بأي وسيلة كانت.. استجاب الشاب لطلبه وقام باتصالات عديدة عن طريق أحد المترجمين.. وبعد ساعات من البحث والتحري والمحادثات الطويلة استطاع الشاب أن يوصل هذا الحاج إلى فندقه الذي يسكن فيه بمكة..

وهنا بدأت قصة الفرح والابتهاج.. وافترَّ ثغر هذا الحاج عن ابتسامة فرح عذبة.. وهو يحتضن هذا الشاب ويشكره من أعماق قلبه على خدمته ومساعدته.. لم يكن يعرف كلمات شكر بالعربية ولكنه انطلق بلغته الأردنية يقبل رأس الشاب ويشكره.. لم يقتصر الفرح على الحاج التائه فحسب.. بل غمر الشاب المكي الذي فرح بخدمة ومساعدة هذا الحاج.. فانصرف وهو يتذكر قول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا،

ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ ؛ أحبُّ إليَّ من أن
أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهراً،
ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ؛ ملأ الله قلبه
يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى
يقضيها له ؛ ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام» [أخرجه

الهيثمى في مجمع الزوائد، وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب].



انتفهي

الدوام ... فمن يخدمها ؟!

١٣

القطعة من نشاط خدمة الطاقم



يوم مليءٌ بالأعمال والمهام يمرُّ على شباب مكة
المشاركين في خدمة الحجاج في الحرم المكي
الشريف .. فكل شاب في عمله ونشاطه يخدم الحجاج
ويقوم على راحتهم.. كم هو شاق أن تقوم بتطويف
رجلٍ طاعن في السن وسط هذا الزحام!

وكم هو مرهق أن تخوض يومياً غمار الطواف
والسعي ولعدة مرات؛ من أجل أن يرتاح ضيفٌ من
ضيوف الرحمن.. وكم هو عسيرٌ أن تجد حاجاً أو
معتماً تائهاً لا تجد لغته، ولا تعرف وسيلةً للتواصل
مع أهله.. فتأخذه وتبذل كل ما تستطيع وسط أفواج

الحجاج لكي توصله إلى مقرّ سكنه أو مكتب الطوافه الخاص به.. أعمال شاقة ومهام صعبة ولكن من جرّب حلاوتها وعرف سعادتها وأدرك أسرارها سيظل متعلقاً بها.. محباً لها.. باذلاً وقته وجهده من أجلها.. لأن السعادة التي يشعر بها من يخدم وفد الله شعور يصعب وصفه.. إنه إحساس مفعم بالغبطة والسرور والرضا.. وأيّ سعادة تساوي سعادة خدمة الحجاج والعمّار..

هذا شاب من شباب مكة لا يتجاوز عمره ثمانية عشر عاماً.. تشرب قلبه خدمة الحجاج والمعتمرين.. ظلّ يعمل على خدمة الحجاج في المسجد الحرام لأكثر من ست ساعات متواصلة.. جهداً مضمّن وعمل دؤوب.. وسعادة دائبة يجد لذتها في قلبه مع كل خدمة يقدمها لضيف من ضيوف الرحمن فتبرق أسارير وجهه سعادةً وأنساً بهذا العطاء..

ذات ليلة انتهى من عمله.. وهمّ بالانصراف إلى بيته ليرتاح من هذا العناء.. ليعود بنشاطه في اليوم

التالي.. وقبيل انصرافه بدقائق جاءت امرأة طاعنة في السن تجرّ خطاها.. قالت: يا ولدي أرجوك اخدمني فلقد أتعبني المرض ولا أستطيع أن أطوف وأسعى.. أرجوك أرجوك!

نظر إليها مشرف البرنامج ففكر ماذا يصنع! فالجميع مرهق والكل قد أدّى ما عليه وزيادة.. حاول أن يعتذر منها.. ألحّت العجوز عليه.. وهنا انبرى الشاب بكل شهامة ونخوة وحب لخدمتها، وقال للمشرف: أنا سأقوم بتطويفها! ولا أريد إلا رضا الله تعالى ودعوة صادقة من هذه المرأة الحاجة لعل الله أن يستجيب دعائها.. استبشر المشرف وأوكل خدمتها إليه..

ركبت العجوز العربة المخصصة، ومضى الشاب يطوفُ بها بيت الله الحرام سبعة أشواط من الدور العلوي.. ثم انتقل إلى المسعى وسبعة أشواط مثلها بين الصفا والمروة.. يا له من جهد شاق وعمل مضمّن!

أكثر من ثلاث ساعات إضافية.. لكن لذة الطاعة
والاحتساب طغت على تعب البدن ومشقة العمل..
انتهى السعي.. فرحت العجوز، ورفعت يديها تدعو
لهذا الشاب بدعوات صادقات.. وأردفت قائلة: ابني
هل لك أن تكمل جميلك وتوصلني إلى خارج الحرم
عند مواقف السيارات فأنا لا أستطيع المشي،
والمواقف بعيدة عني، أرجوك ساعدني لا حرمك الله
أجر هذا العمل!

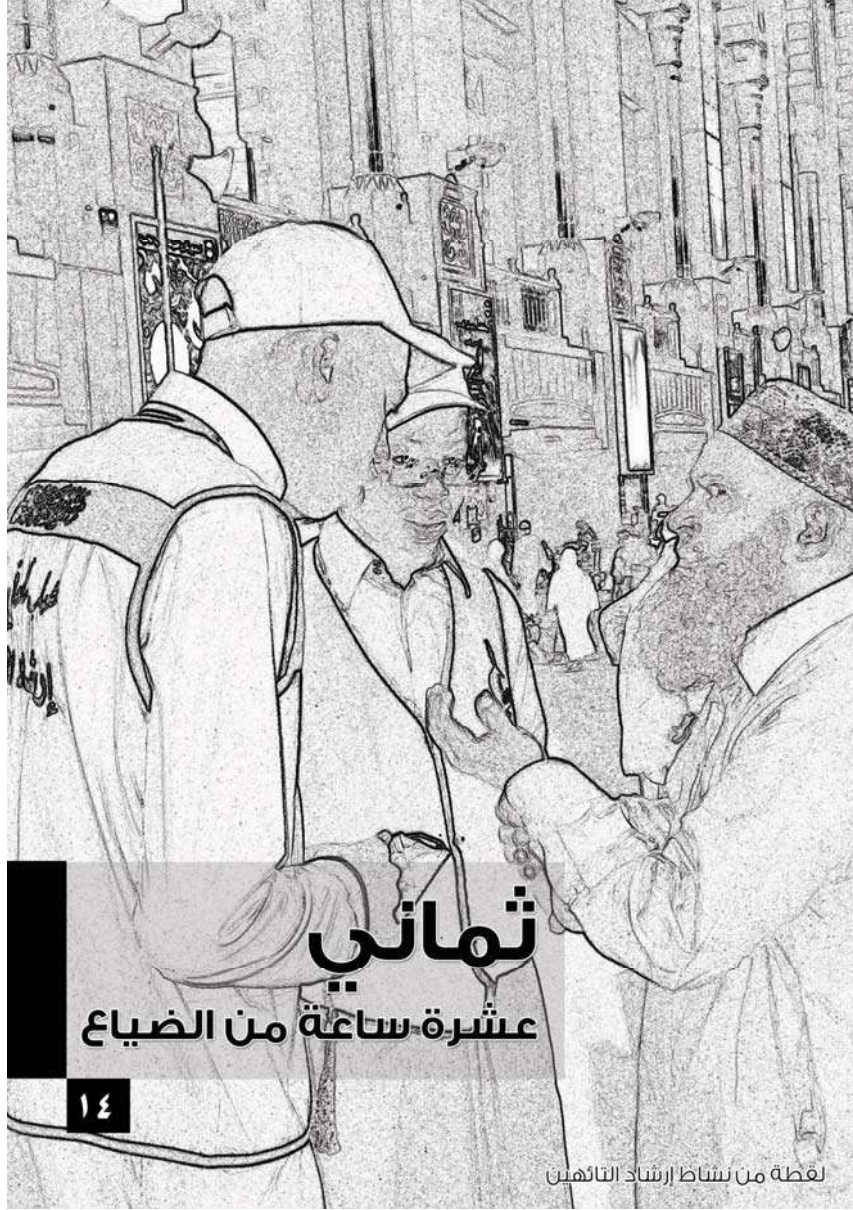
لم تنته من كلماتها إلا انطلق الشاب بها رغم
الإرهاق الشديد الذي أصابه.. ولم يكتف بذلك بل قام
باستئجار سيارة أجرة ودفع قيمة إيصالها إلى مقر
سكنها وانصرف دون أن يأخذ من المرأة شيئاً رغم
محاولتها أن تعطيه أجرة مساعدته.. لم تنس المرأة
العجوز هذا الجميل، فقد عادت إلى سكنها بكل
ارتياح بعد أن أدت مناسكها.. وظل قلبها يهتف
بالشكر والدعاء لهذا الشاب الذي قدم لها كل هذه

الخدمات دون أي مقابل.. وإنما لأجل مرضاة الله تعالى وقيامًا بواجب العناية والرعاية بوفد الرحمن..

في اليوم التالي قصّت المرأة قصتها وما جرى لها في المسجد الحرام مع هذا الشاب.. وأرسلت ابنها الأكبر ليوصل إلى الشاب قيمة سيارة الأجرة ويبلغه شكر والدته.. جاء الابن يبحث ويسأل عن شاب من شباب مكة المرابطين في المسجد الحرام لخدمة ضيوف الرحمن.. ويذكر عنه مواصفات معينة.. فقام المشرف على البرنامج وسأله عن سبب استفساره، فقال: لقد قام هذا الشاب بدور بطولي مشرف مع والدتي البارحة، وخدمها بكل ما يملك، فأتيت لأشكره وأوصل له قيمة سيارة الأجرة التي دفعها لوالدتي.. تذكر المشرف موقف البارحة في نهاية الدوام.. واستدعى الشاب بعد أن عرفه.. فقام ابن المرأة يشكر ويشني على موقفه وحاول أن يعطيه قيمة سيارة الأجرة.. إلا أن الشاب رفض أخذ أي مبلغ على ما قدّم.. وأعلنها بكل صراحة ووضوح: لقد ساعدتها

ابتغاء وجه الله تعالى، ولا أريد شيئاً إلا من الله وحده..
هنا لم يتمالك الابن نفسه وهو يسمع هذه الكلمات
التي تشعّ إيماناً و يقيناً وتنبض بالحب والتضحية من
أجل حجاج بيت الله الحرام.. فانسكبت منه دمعات
صادقات، وهو يتهل إلى الله أن يجزي هذا الشاب
وهذا المشروع خير الجزاء!

إنّها لذة الخدمة لله وحده، لا تضاهيها متعُ الدنيا
كلها.. لا يعرف أسرارها إلا من عاشها، ولا يدرك
أغوارها إلا من جربها! ومن ذاق عرف.

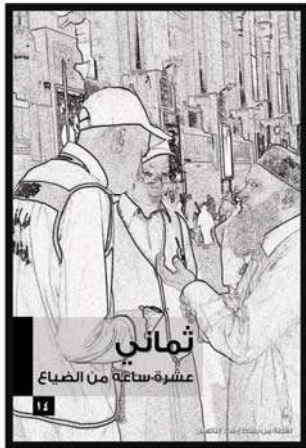


ثماني

عشرة ساعة من الضياع

١٤

لقطة من نشاط إرشاد التائهين

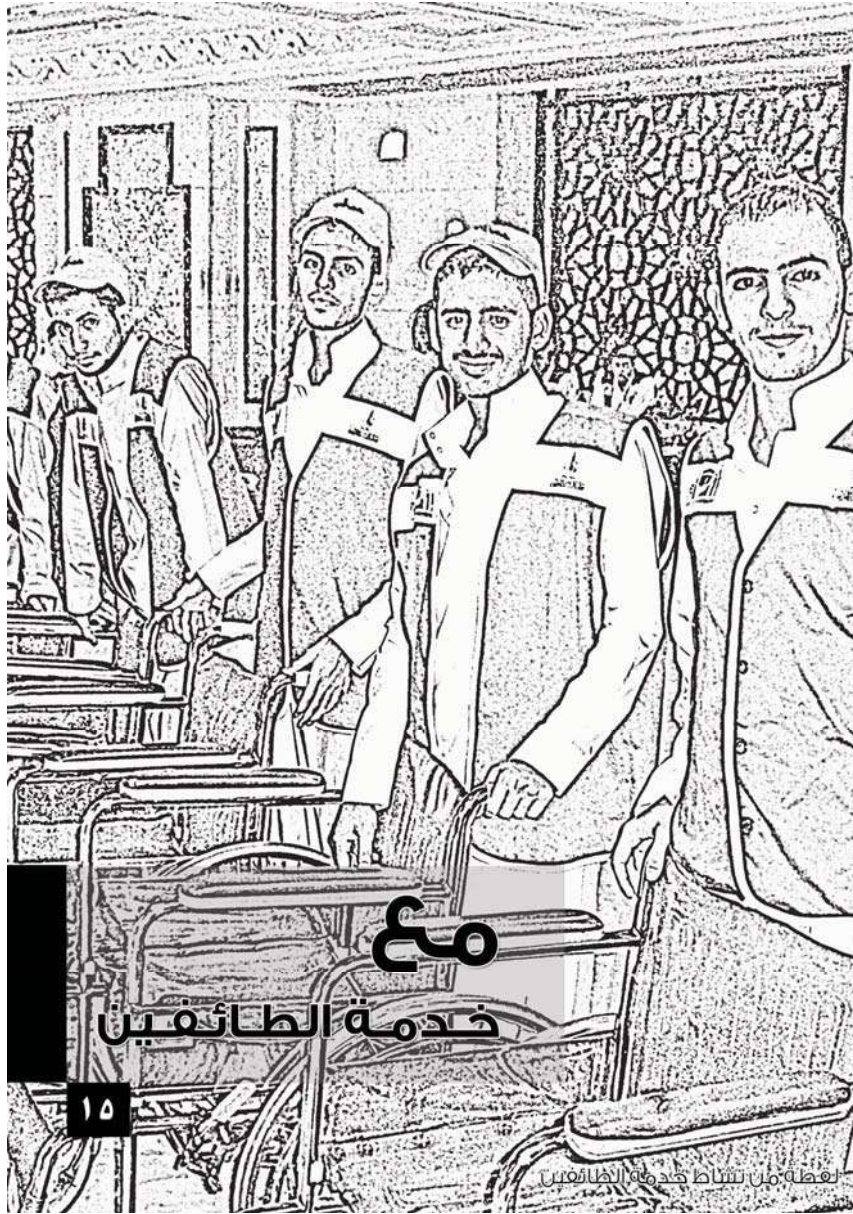


أخذ يجول في المنطقة المركزية بالمسجد الحرام
يميناً وشمالاً.. يمشي حافي القدمين.. مثقل الخطى..
قد رسم الشيب على مفرق رأسه ولحيته وشاحاً أبيض
اللون.. يمشي قليلاً ويستريح قليلاً.. يبحث عن معلّم
يستدلّ به على مقر سكنه.. مضت الساعات تلو
الساعات وهو يحدق في المارة.. وينظر في المباني
والطرق.. عله يتعرف على شيء يوصله إلى سكنه
بجوار البيت العتيق.. فالتعب قد أرهقه.. والبحث
والتجوال الذي امتد لأكثر من ثماني عشرة ساعة
متواصلة قد أوجع كل مفصلٍ من مفاصل جسمه..

وبينما هو يسير في المنطقة المركزية بهذه الحال.. إذ شاهده أحد الشباب المشاركين في (برنامج شباب مكة في خدمتك)، أوقفه وسأله عن حاله وعن وجهته.. تنفس الحاج الصعداء، وأفاده أنه ضائع منذ أكثر من ثماني عشرة ساعة ولم يجد أي شخص يرشده لمنزله حيث كان لا يجيد التحدث بالعربية.. سأله الشاب: هل تملك أي بطاقة عنوان أو إسورة بيانات؟!

لم يفهم كلام الشاب، واكتشف أنه أضاع كل الوثائق ولا يملك أي شيء الآن.. أخذه الشاب المكي وقام بشراء وجبة طعام، واشترى له حذاءً وألبسه إياه.. وقام يستفسر عن أي معلم أو عنوان يستطيع من خلاله أن يوصله إلى مقر سكنه.. قام الشاب وأخذ يجول بين المباني والطرق القريبة من الحرم.. وبعد أربع ساعات قضاها الشاب برفقة الحاج المسن.. توصل بقدرة الله، إلى مكان إقامته، فهرعا إلى مدخل الفندق وتأكد الحاج أن هذا الفندق هو مكان سكنه.. وعندما همّ الشاب المكي بالوداع والانصراف.. تفاجأ بنزول

عدد كبير من ذوي هذا الحاج التائه.. والجميع يكبر مستبشراً بوصوله فقد كانوا في انتظاره طوال هذا الوقت، وعاشوا لحظات عصيبة من القلق والاضطراب والانتظار.. ومن بين جموع المستقبلين لهذا الحاج التائه امرأة عجوز حاولت أن تقبل يد هذا الشاب.. تعبيراً عن شكرها وامتنانها نظير خدمته وإيصاله الحاج إلى سكنه.. في هذه الأثناء أفصح لهم الشاب عن بعض أهداف البرنامج وشرح لهم الأنشطة التي يقوم بها (شباب مكة) خدمةً لضيوف الرحمن.. ومن بينها نشاط إرشاد التائه الذي يعمل فيه بطل قصتنا.. انتهى الموقف وانصرف الشاب والسعادة تملأ جوانحه وهو يهنئ نفسه، بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال (أي: أرض الضياع) لك صدقة، ونصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].



مع

خدمة الطائفيين

١٥

مفظة من نشاط خدمة الطائفيين



هَبَّتْ نَسَمَاتِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى مَحْيَاهَا.. وَقَدْ
أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا قَبْلَ جَسَدِهَا تَرِيدُ إِتْمَامَ نَسْكِهَا.. جَدَاوِلُ
السَّعَادَةِ تَسْقِي عُرُوقَ قَلْبِهَا.. وَقَطْرَاتُ الْفَرَحِ بِالْوَصُولِ
إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ تَرْطِّبُ وَجْدَانَهَا.. أَشْرَفَتْ عَلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ وَفُؤَادِهَا يَرْقُصُ طَرْبًا لِهَذَا اللَّقَاءِ الْحَمِيمِيِّ
الْأَخَاذِ.. نَظَرَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ وَقَالَتْ: آهَ كَمْ أَنْتِ
مَعْظَمَةٌ فِي نَفُوسِنَا أَيَّتُهَا الْكَعْبَةُ الْمَشْرِفَةُ.. وَكَمْ أَنْتِ
مَبْهَجُ أَيُّهَا الْبَيْتُ الْمُبَارَكُ.. وَيَا لِسَعَادَةٍ مِنْ وُفُقِ اللَّطَوَافِ
حَوْلِكَ وَالسَّكْنَى بِجَوَارِكِ.. وَمَضَتْ تَدْعُو: اللَّهُمَّ زِدْ
هَذَا الْبَيْتَ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَزِدْ مِنْ عَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ

تعظيمًا ومهابة وتشريفًا.. أخذت المرأة تردد في نفسها هذه المشاعر وهذه الدعوات وهي تقترب شيئًا فشيئًا من البيت الحرام.. حتى إذا دنت منه ورأت جموع الحجيج هالها الموقف.. وازدحمت في نفسها الخواطر حبًا وشوقًا للطواف حول البيت العتيق.. ولسان حالها يقول:

ففي ربعمهم لله بيتٌ مباركٌ	إليه قلوب الخلق تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه	ويسقط عنه إثمه وخطايا
فكم لذةٍ وكم فرحةٍ لطوافه	فلله ما أحلى الطواف وأهناه
نطوف كأننا بالجنان نطوفها	ولاهمَّ لاغَمَّ جميعًا نسيناه
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة	فذقه تذق يا صاح مانحن ذقناه
ترادفت الأشواق واضطرم الحشا	فمن ذال له صبر وتضرم أحشاه

ولكنها امرأة كبيرة في السن عاجزة.. وأتى لها بمزاحمة هذه الجموع الغفيرة؟! أخذ ابنها يبحث يمنةً ويسرةً عن عربة تستطيع من خلالها أن تؤدى طوافها وسعيها.. في هذه الأثناء سأل الابن أحد رجال الأمن فدلّه على مجموعة من (شباب مكة) الواقفين بجانب المسعى المتأهبين لتقديم الخدمات لضيوف الرحمن..

طلب ابنها عربية من العربات فأخبره المشرف على خدمة الطائفين أنهم سيوفرون لها عربيةً وشاباً يقوم بخدمتها في كل ما تحتاج.. فرح الابن وفرحت العجوز بهذه البشارة وسُرَّت بكلام المشرف.. وفي ظنّها أنّها ستُخدم بمقابل مادي ولكنها لم تسأل عن قيمة الخدمة.. لئسّر حالها ورغبتها في إعطاء من يخدمها فوق ما يطلب مقابل خدمته لها.. قام أحد الشباب وأركبها العربية برفقة ابنها وقام بتطويفها حول الكعبة وسعى بها بين الصفا والمروة.. ما أثار إعجاب هذه المرأة وابنها هو أنّ هذا الشاب كان يحاول أن يعلم هذه المرأة سنن الطواف والسعي.. فكان يوقفها عند محاذاة الحجر الأسود وينبها للتكبير، وفي السعي كان يوقفها عند جبلي الصفا والمروة ويوجّه عربتها تجاه الكعبة لكي تدعو الله اقتداءً بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ويذكرها بالسنن المستحبة.. وبين الأشواط كان يسقيها من ماء زمزم إذا عطشت.. حتى انتهى بها من المسعى وقام يودعها هي وابنها.. عند ذلك أخرجت المرأة

مبلغاً كبيراً من المال تريد أن تكافئ به هذا الشاب.. وكانت الدهشة أكبر من الموقف حين رفض الشاب أن يأخذ أي مبلغ مقابل هذه الخدمة وهذا الجهد المضني الذي استمر قرابة الثلاث ساعات.. قام ابنها يحاول مرة أخرى قائلاً: خذ هذا المبلغ ولا أحد يعلم عنك! ازداد رفض الشاب وإصراره على عدم أخذ شيء من هذه المرأة وابنها، وقال مبتسماً: تكفيني منكما دعوة صالحة.. انصرفت المرأة وابنها وهما يدعوان الله تبارك وتعالى لهذا الشاب ولمن كان سبباً في توفير هذه الخدمة في هذا البيت المعظم، ويا لها من دعوات مباركات تتصاعد من وفد الله الكريم.. وقد جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله؛ دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» [أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، وحسنه الألباني].



قصة

المعتمر الجريح

11

لقطة من نشاط الإسعافات الأولية



الطواف والسعي يتطلبان جهداً بدنياً كبيراً.. يقوم به المعتمر أو الحاج في مختلف الظروف والأحوال.. وفي أيام الزحام واشتداد الحر.. تقع إصابات متفرقة نتيجة الإعياء والإرهاق.. كما أن تحرك العربات وسط الزحام يسبب بعض الكدمات والجروح، وقد خصصت رئاسة شؤون الحرمين الشريفين فرقاً إسعافية تقوم بالمعالجة السريعة للحالات والإصابات الخفيفة التي تقع لزوار بيت الله الحرام..

أحد المعتمرين من كبار السن، كان برفقة ابنه يسعى على قدميه بين الصفا والمروة.. وفجأة يتعثر

ياحدى العربات ويسقط مصاباً على الأرض.. وإذا
بالدماء تسيل من رجله.. بالقرب من موقع سقوط
الحاج.. كان اثنان من شباب مكة المتعاونين مع الفرق
الإسعافية ضمن نشاط الإسعافات الأولية يقفان لتقديم
أي مساعدة لأي حاج يحتاج إلى رعاية طبية.. على
الفور انطلقا يسعفان هذا الحاج المصاب.. فقام
أحدهما بحمل المسنّ من على ذراعيه، وقام الآخر
بمعالجة موضع الجرح.. وبعدها قاما بإيقافه وإجلاسه
على عربة من عربات شباب مكة، ليكمل سعيه.. كل
هذه المواقف الخدمية والصور التطوعية تتم أمام عين
هذا الشيخ، وابنه يراقب الموقف بكل اطمئنان..
وعشرات الأسئلة تدور في مخيلته.. انتهى الشابان من
معالجة الشيخ.. عندها نطق الشيخ قائلاً: كم تأخذون
من الحاج مقابل هذه الخدمة؟ نظر إليه الشاب المكي
وقد بدت ابتسامة رقيقة على ثغره، وقال: يا عم نحن
شباب مكة من (مشروع تعظيم البلد الحرام) أتينا هنا
لنخدم حجاج بيت الله الحرام ابتغاء ما عند الله
ولا نريد جزاءً ولا شكوراً إلا منه سبحانه فإن كان

ولا بد أن تكافئنا على عملنا هذا فلا نقبل بأكثر من دعوة صالحة لنا جميعاً وأنت محرم في هذا المكان الطاهر.. اندهش الشيخ وابنه وهما يسمعان هذا الكلام العجيب من هذا الشاب اليافع.. سكت الشيخ برهة ثم قال: لقد أحييتم خصلة عظيمة بدأت تندثر من نفوس الناس هذه الأيام.. ولقد تذكرت كل مواقف الرجولة والشهامة وأنتم تقومون بخدمتي في هذا المكان.. وظننت أنكم تقومون بهذا العمل مقابل مبلغ مالي تأخذونه من الحجاج والزوار.. ولكنني عرفت مقصدكم النبيل وغايتكم الشريفة يا شباب مكة!! فكم أنا مسرور بكم وبعملكم العظيم.. ومستبشر بأن أجد من بين شباب مكة أمثالكم من الكرام المتطوعين ممن يقومون بمثل هذه الأعمال الجليلة والتضحيات الرائعة من أجل ضيوف الله في حرم الله.. هنيئاً لكم أيها الكرام هذا العمل! وهنيئاً لكم هذا التشريف من الله!! لا حرمكم الله أجر عملكم وأبقاكم ذخراً للإسلام والمسلمين.. وانطلق يدعو بدعوات مباركات وهو على العربة.. عندها بادر ابن الشيخ وأخرج من حافظته مبلغاً من

المال يريد أن يقدمه كهدية للشابين اللذين قاما
بإسعاف والده، لكن باءت كل محاولاته بالفشل..
فرسان موقفنا لا يريدون أي مقابل من المستفيد سوى
دعوة صالحة.. عندها تحدرت دمعتان رقيقتان على
وجنتي الابن.. وينتهي المشهد بقول الشيخ: والله لن
أنساكم في دعائي ما حييت..

إنه طموح العيش أكثر من مرة، حينما يقدم المرء
ذاته لأجل أن يعيش غيره في سلام وأمان.. ليستمد
غيره من عمله روح البذل ونفس التضحية!



من تونس إلى صحن الطواف

١٧

لقطة من نشاط خدمة الطائفين



تاقت نفسه إلى حجّ بيت الله الحرام.. وكيف
لا تتوق وقد جعل الله بيته مهوى أفئدة المؤمنين في
الأرض.. تبقى على موسم الحج أسابيع معدودات..
وصار حديث الناس في المجالس والمنتديات يتجه
حول أداء فريضة الحج.. إنها الفريضة التي يعتبرها
البعض رحلة العمر أو رحلة الإيمان والطهارة من
الذنوب.. إنها أشواق قلبية تتصاعد.. وأمان في ذات
الله تبارى.. كلها تريد أن تصدح (لبيك اللهم لبيك،
لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والتّعمة لك
والملك لا شريك لك).. ذات صباح مشرق..

قام الرجل المسنّ ونادى ابنه، وأخبره بعزمه على أداء
فريضة الحج في الموسم القادم، كانت نبرات صوت
الوالد العجوز توحى بالهمة والعزيمة والإصرار.. رغم
كبر سنّه وضعف بدنه وقلة حيلته.. عزم على القدوم
إلى البيت الحرام مليئاً مهما كان الأمر، ميمماً وجهه
شطر المسجد الحرام وحاله:

خذني إلى البيتِ تسعى في جوانبه نسائم بأمان الله تتشـرُّ
في بطن مكة قدسيّ الشعاع سرى فما تحسُّ سوى الأنوار تنهمرُ
في كل ركنٍ وللتسيح هيمنة وكم يهزك من تحنانه وترُ
تعال نشرب صفاء الود كوثره هذا المعين فلا طينٌ ولا كدرُ
تعال نسعِ إلى روض تظلّله سحابة الأرض لا خوفٌ ولا خطرُ
وفي مقام خليل الله موقفنا والركعتان جنان الأرض تختصرُ

رحّب الابن بهذه الفكرة الرائعة وارتسم البشر على
محياه.. فأيّ رحلةٍ أعظم من أن تأتي مليئاً إلى بيت الله
العتيق.. تبتغي الأجر والمثوبة وتنشد غفران ما مضى
من الذنوب.. وأيّ خطوات تلك التي تأخذك إلى حيث
الطهر والسمو.. وتحملك إلى حيث البلدة الطاهرة

والبقعة المقدسة.. وتشرف بشهود أكبر تجمع للمسلمين في عرفات وفي مزدلفة ومنى والمشاعر المقدسة.. أخذ الابن يخطط لهذه الرحلة ويرتب أوراق السفر ويقوم بإجراءات التسجيل في أفواج الراحلين إلى بيت الله الحرام ولسان حاله:

بمكة كم حلّ الكرامُ الأماجدُ وهذي الجبالُ الراسياتُ شواهدُ
وطافَ بييتِ الله منْدُ بنائه حجيحٌ وكم سيقَتْ إليه قلائدُ
وكم من نبيّ طافَ بالبيتِ خاشعاً وقد رُفعتُ لله منه محامدُ
وكم ضحَّ بالتكبيرِ والذكرِ والدعا وكم خرَّ للأذقانِ لله ساجدُ
به يطمئنُّ القلبُ من كلِّ مؤمنٍ ويأمنُ ذو خوفٍ ويصلحُ فاسدُ

مضى الابن يعدّ العدة لشدّ الرحال، والتشرف بالقدوم إلى بيت الله الحرام هو ووالده ملبين محرمين.. إلا أن هاجساً طراً على الابن منذ أن علم بعزم والده على السفر.. يا الله! كيف لي أن أقوم بحمل والدي إلى الديار المقدسة! وأرعى شؤونه وأخدمه في هذه الرحلة الطويلة ذات التنقلات الكثيرة؟! وكيف أستطيع أن أحمله على ظهري وأنتقل به من مشعر

لآخر! وأني لي بكل ذلك في زحمة الطواف والسعي! فهو رجلٌ مسنٌ لا يستطيع المشي لدقائق معدودة، وأمراضه المتعددة قد زادت في الفترة الأخيرة.. أخذ الابن يفكر في كل هذه الصعوبات التي تواجهه مع والده في رحلة الحج.. ومضى سارحاً بفكره وخياله يبحث عن حلول مناسبة.. ولكنه في كل مرة يصطدم بواقعه ويعجز عن إيجاد حلول تضمن له كيفية أداء والده لمناسك الحج والعمرة.. فوض أمره لخالقه وتوكل عليه طالباً منه التوفيق والإعانة.. ركب الطائرة ولكن ما يزال هاجس التخوف من مشقة الحج ومشقة رعاية والده يدور في ذهنه.. ولا زالت الأسئلة تتماوج في مخيلته.. وصل إلى مكة المكرمة وكلما اقترب من بيت الله الحرام، تزداد لديه التساؤلات وتعتريه حالة من الاضطراب.. حتى وصل إلى المسجد الحرام ومشاعر الفرح والقلق تتراحمان في فؤاده.. أخذ قلبه يرجف من جلال الموقف أمام الكعبة المشرفة، وجموع الطائفين قد ازدحموا في صحن الطواف..

هنا الكعبةُ الزهراءُ والوحي والشذا هنا الثورُ فافني في هواء وذوبي
ويا مهجتي بين الحطيم وزمزم تركت دموعي شافعاً لذنوبي
وفي الكعبة الزهراء زينتُ لوعتي وعطّر أبواب السماء نحبي
مواكب كالأمواج عجّ دعاؤها ونار الضحى حمراء ذات شبوب

سأل الابن عن مقرّ العربات الخاصة بكبار السنّ ،
فدلّه أحد الحجّاج على مقر (شباب مكة) .. أتى
مسرّعاً وطلب من المشرف على خدمة الطائفين عربية
من العربات كي يقوم بتطويف والده المريض .. ابتسم
المشرف في وجهه ووعدّه بأن يوفر له عربية مع أحد
الشباب كي يقوم بتطويف وتسعية والده .. انبلجت
أسارير وجهه وهو لا يكاد يصدق أن يجد كل هذه
التسهيلات والخدمات المجانية .. وارتسمت ابتسامة
هادئة على مبسمه تعبّر عن مشاعر الرضا والسرور التي
امتلاً بها قلبه من هذه الحفاوة والترحيب ، ومن هذه
الخدمة التي أشعرته أنّ ثقلاً كبيراً قد انزاح عن رأسه ..
شكره الابن على هذا الترحيب وبادره سائلاً : كم
ستأخذون مني مقابل هذه الخدمة؟ التفت إليه المشرف
وأقبل نحوه وقال : نحن أبناء مكة المكرمة وشبابها ،

وأنتم ضيوف الرحمن، نزلتم بهذه الأرض المقدسة؛ فأقل واجب علينا أن نخدم ضعيفكم ونرحم صغيركم ونرشد تائهكم ونغيث ملهوفكم.. ونحن في المسجد الحرام نخدم الحجاج والمعتمرين لوجه الله تعالى ولا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً.. فرح الابن بهذا الكلام اللطيف النابع من قلب يحب الخير ومساعدة الآخرين! وسراً أيما سرور بهذه القيم الإسلامية التي يراها على أرض الواقع في تعامل وأخلاق (شباب مكة).. وعلى الفور قام أحدهم بإركاب المسنّ على العربة ومضى يطوف به الشوط تلو الشوط وابنه يرافقه في سعادة وحبور.. انتهى الشاب من تطويفه.. والفرح يرسم ألف لوحة جمالية على وجهه ووجه والده.. دعوات صادقات وابتهالات لله تعالى بأن يحفظ الله أهل مكة وشبابها الأوفياء الكرام.. في نهاية المطاف همس المسنّ في أذن الشاب قائلاً: سأعود إلى تونس بإذن الله وسأكون لكم سفير خير في بلادي!

من تونس إلى صحن الطواف | ١٣٣

إنّها بصمة الأخلاق التي لا تساويها بصمات الدنيا
كلها.. إنها البصمة التي جاء بها رسول الهدى صلوات
ربي وسلامه عليه، ووضع لها مكافأة لا توازي أمامها
جبال الذهب وأطنان المجوهرات، فـ «من كان في
حاجة أخيه، كان الله في حاجته» [مسلم: ٢٥٨٠].



بصمة تضحية



تغطية وزارة الإسكان والتنمية الحضرية



يظلّ أداء فريضة الحج أمنيةً كل مسلم ومسلمة على وجه البسيطة، مهما كان وضعه الصحي والمادي.. ومن يعيش أجواء الحج ويخالط الحجاج والمعتمرين، يقابل فئاتٍ منهم ربما يُصنّفون من أهل الأعدار، إما لكبر سنّهم أو لمرضهم أو عجزهم وقلة حيلتهم.. ولكنها مشاعر المسلم والمسلمة.. تهفو إلى البيت الحرام، وتحنّ شوقاً لهذه البقعة المباركة، وتبذل الغالي والنفيس لكي تصل إلى حرم الله الآمن.. ملبين بحج أو عمرة..

من يراقب أفواج الحجيج؛ يجد السعادة تغمر
 قلوبهم.. والبهجة تملأ جوانحهم.. والبسمة لا تفارق
 محياهم؛ بالرغم مما يعانونه من التعب والنصب.. غير
 أن قلوبهم وأرواحهم تسبح في نشوة وسعادة غامرة..
 وأفئدتهم تحلق في سمو نحو العوالم العلوية بكل رقة
 وخشوع.. فرحاً بالطاعة وأنساً برؤية البيت الحرام
 ومجاورته..

أم القرى يا جنة اليوم والغدِ ويا زينة الماضي التليدِ المجددِ
 ترابك أندى من فتيتِ معطر وصخرك أجدى من كريمِ الزمردِ
 رويناك بالدمع السخين محبةً تنمُّ على الوجد المكينِ المؤكدِ
 بلادُ الهوى والجدودِ والوحي والندى ومهد الكتابِ المستطابِ المُمجدِ

(شباب مكة) في بيت الله الحرام قد أخذوا مكانهم..
 يعملون بنشاط وهمة لخدمة الحجاج والزوار.. يساعدون
 التائه والمريض والعاجز ابتغاء ما عند الله تعالى.. وبينما
 هم في مقر تجمعهم القريب من جبل الصفا في المسعى إذ
 أقبلت امرأة عجوز.. ثقيلة الوزن.. تمشي على مهل
 وتكاد تتعثر بخطواتها المتعرجة، أقبلت على (شباب مكة)

وقالت: أرجوكم يا كرام أريد منكم أن تحملوني على عربة من هذه العربات.. وتساعدوني في إكمال سعبي فقد عجزت عن إكمال السعي.. وتعبت تعباً شديداً.. وقد طلبتُ من بعض أصحاب العربات أن يساعدوني ووعدتهم بأن أعطيهم أي قيمة يريدونها ولكن جميعهم رفض.. فأرجوكم ساعدوني في إتمام نسكي وسأعطيكم ما تريدون.. رحّب بها المشرف على الخدمة ووعدّها خيراً.. ظنّت المرأة الحاجة أن هؤلاء الشباب سيأخذون منها مبلغاً كبيراً مقابل خدمتهم لها.. ولكن وقع المفاجأة كان مدهشاً حين أخذ المشرف يشرح لها أهداف برنامج (شباب مكة في خدمتك) والرسالة السامية التي يحملها "مشروع تعظيم البلد الحرام".. وأنهم يقومون بخدمة الحجاج والمعتمرين دون أي مقابل.. ابتسمت العجوز ورفعت يدها تدعو لهؤلاء الفتية وللقائمين على هذا البرنامج.. وجّه المشرف على الخدمة أحد الشباب المتطوعين وأوصاه أن يختار عربة جيدة.. ويقوم بخدمة هذه المرأة.. وعلى الفور تقدّم أحد الشباب وحملها على العربة ومضى يسعى بها بين الصفا والمروة.. والعجوز تذكر الله وتدعو وتهلل وقد انقشعت سحابة الهمّ عنها..

وبعد زمن يسير اتصل الشاب المرافق لهذه المرأة على مشرف الخدمة طالباً عربية أخرى فقد تعطلت العربة في الشوط الثاني من السعي وأصبحت غير صالحة لإتمام بقية الأشواط.. قام المشرف بإرسال أحد الشباب إلى موقع هذه المرأة واستبدل العربة المعطوبة بأخرى صالحة.. ومضى الشاب يخدم هذه المرأة رغم الزحام وصعوبة الدفع والسعي بين الصفا والمروة.. وفي الشوط الخامس يتوقف الشاب مرة أخرى ويجد العربة قد تعطلت ويتصل بالمشرف ثانية.. لكي يزوده بعربة ثالثة.. هنا شعرت المرأة بكثير من الحرج والإشفاق على هذا الشاب.. ولكنها لم تبدِ أي شعور سوى أنها لم تتوقف عن الدعاء له خلال سعيها.. استأنف الشاب مرة أخرى يسعي بالمرأة حتى انتهى السعي.. وحقق الله مرادها.. وزال عنها الهمّ الذي أرهاقها.. وقفت المرأة ونظرت إلى الشاب.. لم تتمالك نفسها.. أجهشت بالبكاء وكأنها عجزت عن شكر هذا الشاب وتفانيه في خدمتها.. وربما شعرت أنه قام بدور ابنها.. فخرجت كلمات شكر مبعثرة من أعماق فؤادها.. وأخرجت من حافظتها مبلغاً من المال.. تريد أن تكافئ به الشاب.. رفض الشاب أخذ أي شيء منها وأخبرها أن

(شباب مكة) يقدمون هذه الخدمة لضيوف الرحمن دون
أي مقابل.. ولا يرجون أجراً إلا ممن لا يضيع أجر من
أحسن عملاً..

إنها تنمية لبذور الخير والعطف والحب.. تغذيها
نسمات القداسة، وعبق الأرجاء!

فهرس

٥	المقدمة
١١	دعوني أكافنكر
١٧	دعوة تطرق أبواب السماء
٢٥	منتقاد مع شباب مكة
٣٣	هواسة ودعوة حاج
٤٥	مع أم الشهيد
٥١	حكاية الطفل التائه
٥٧	قبلة على رأس حاج
٦٥	حاج يعبر بدهوعه
٧١	خلاف في الحرم
٧٧	تضحية شاب وفرحة حاجة
٨٥	أعظم دعوة لغير المسلمين
٩١	قصة الحاج التائه
٩٩	انتهى الحوار.. فمن يخدمها
١٠٧	ثمانية عشرة ساعة من الضياع
١١٣	مع خدمة الطائفين
١١٩	قصة المعتبر الجريح
١٢٥	من تونس إلى صحن الطواف
١٣٥	بصمة تضحية
١٤٣	فهرس

مشروع

تعظيم البهجة الحرام

قُبلة على رأس حاج ...

أخذ يبكي لأكثر من عشر دقائق ..
بسبب هذه القُبلة التي أشعرته بالحب والرعاية والأمان ..
إنها قُبلة المشاعر الصادقة التي تتجاوز كل لغات العالم
وتترجم عن كل المعاني والقيم السامية ..
إنها قُبلة الحب والعاطفة الصادقة التي يكتننها المسلم لأخيه المسلم ..
إنها قُبلة الاحترام والتقدير والإجلال لضيوف الرحمن !!
إنها قُبلة الأمان في بلد الأمن والإيمان حين يمنحها الشاب المكي
لمن أتى مكة حاجاً أو معتمراً فتجلى معها كل معاني الفرحة والسرور ..
وتبدو فيها كل مظاهر الأخوة والمواساة !!

